شعرية الأسلوب وتجلياتها في رسائل ابن الدباغ الأندلسي

"دراسة أسلوبية"

إعـداد

دكتورة/ فاطمة قطب مصطفى معوض

مدرس الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية

والعربية للبنات ببني سويف- جامعة الأزهر -مصر

١٤٤٥ هـ- ٢٠٢٤م

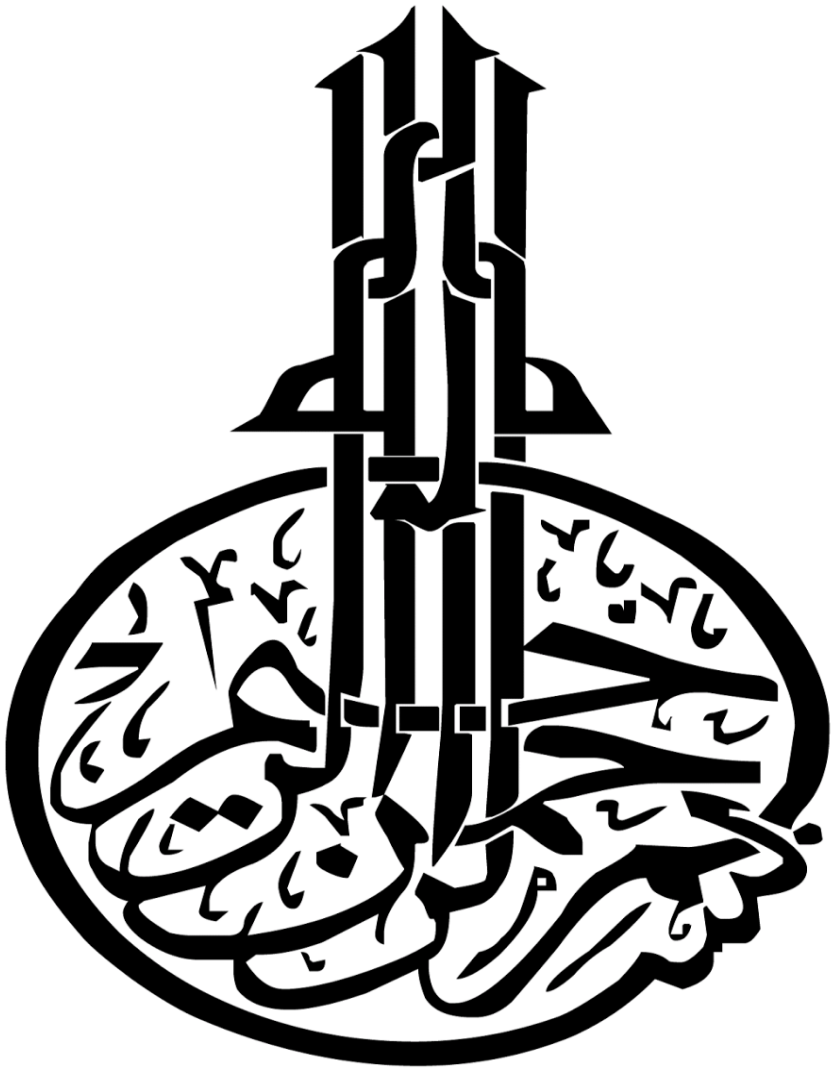

شعرية الأسلوب وتجلياتها في رسائل ابن الدباغ الأندلسي "دراسة أسلوبية"

فاطمة قطب مصطفى معوض
قسم: الأدب والنقد – كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببني سويف – جامعة الأزهر – مصر.
البريد الإلكتروني:
FatmaMoawad.7722@azhar.edu.eg

الملخص:

تحتل الأسلوبية مكانا بارزا بين المناهج النقدية المعاصرة التي اتجهت إلىٰ تحليل النص الأدبي من حيث بناؤه اللغوي؛ حيث تقوم بتحليل النص تحليلا عميقا يسمح بسبر أغواره والتعمق داخله للكشف عن أبعاده الجمالية والدلالية، والوقوف علىٰ أسباب تفرده عن طريق تفكيك أجزائه وتحليل كل جزئية منها علىٰ حدة، ثم تجميعها مرة أخرىٰ والربط بين أجزائها لتكوين وحدة متكاملة، لذا كان اتجاه هذه الدراسة صوب الدراسة الأسلوبية، وقد وقع اختيار الباحثة علىٰ رسائل (ابن الدباغ الأندلسي)؛ حيث امتلك هذا الأديب من الأدوات الفنية ما يؤهله ليكون مبدعا ومتميزا بين أدباء عصره، وقد أعطىٰ صورة واضحة لحالة القلق والتوتر التي يعيشها عصره، من هنا كان اختياري موضوع (**شعرية الأسلوب وتجلياتها في رسائل ابن الدباغ الأندلسي "دراسة أسلوبية"**)، وقد جاءت هذه الدراسة لمحاولة الوقوف علىٰ أهم مستويات الأسلوب النثري في رسائل ابن الدباغ كالمستوىٰ التركيبي، والصوتي، والتصويري، والمعجمي، وقد اعتمدتْ هذه الدراسة علىٰ المنهج الأسلوبي؛ حيث كان أنسب المناهج لدراسة المستويات الأسلوبية للنص الأدبي، مما يساعد في الوصول إلىٰ الأهداف المرجوة من الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الشعرية ـ الأسلوبية ـ رسائل ابن الدباغ ـ دراسة أسلوبية.

The poetics of style and its manifestations in the letters *of Ibn al-Dabbagh al-Andalusi ،"a stylistic study"*

Fatima Qutb Mustafa Moawad
Department of Literature and Criticism - Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Beni Suef
Al-Azhar University ،Arab Republic of Egypt
E-mail: *FatmaMoawad.7722@azhar.edu.eg*

Abstract:

Stylistics occupies a prominent place among contemporary critical approaches that tend to analyze literary text from the aspect of language. It analyzes the text in a deep way that allows it to be explored and delve into it to reveal its aesthetic and semantic dimensions ،and to determine the reasons for its uniqueness by disassembling its parts and analyzing each part separately ،then assembling it again and linking its parts to form an integrated unit.Therefore ،this study was aimed at stylistic study ،and the researcher chose the letters of (Ibn al-Dabbagh al-Andalusi); This writer possessed the artistic tools that qualified him to be creative and distinguished among the writers of his time ،and he gave a clear picture of the state of anxiety and tension experienced by his time. Hence ،my choice of the topic was (The poetics of style and its manifestations in the letters of Ibn al-Dabbagh al-Andalusi ، "a stylistic study")

This study was an attempt to identify the most important levels of prose style in Ibn al-Dabbagh's letters ،such as the level ،syntactic ،phonetic ،pictorial ،and lexical. This study relied on the stylistic approach. It was the most appropriate method for studying the stylistic levels of literary text ،which helps in reaching the desired objectives of the study .

Keywords*: poetic ،stylistic ،letters of Ibn al-Dabbagh ، stylistic study.*

المقدمة

الحمد لله ذي الفضل والإنعام الذي خلق الإنسان علمه البيان، والصلاة والسلام علىٰ النبي المختار المبعوث للإنس والجان، وعلىٰ آله وصحبه الغر الكرام، وبعد:

احتلت الأسلوبية مكانا بارزا في حقل الدراسات النقدية الحديثة لما تحمله من أهمية بالغة؛ حيث تبحث في خصائص الخطاب الأدبي التي تميزه من غيره من خلال طرق التعبير اللغوية، مما يسمح بسبر أغوار النص للكشف عن جمالياته؛ لذا كان اتجاه هذه الدراسة صوب الأسلوبية، وقد وقع اختيار الباحثة علىٰ "ابن الدباغ الأندلسي"(١)، لما اشتهر به من حسن بيانه وبلاغته، فهو أديب مشهود له بالبراعة، وهذا ليس بمستغرب علىٰ شخصية بهذا القدر، فقد كان كاتبا لدىٰ ثلاثة من أمراء الطوائف، وهم (المقتدر بن هود) أمير سرقسطة، و(المعتمد بن عباد) أمير إشبيليه، و(المتوكل بن الأفطس) أمير بطليوس، وقد امتلك هذا الأديب من الأدوات الفنية ما يؤهله ليكون مبدعا ومتميزا بين أدباء عصره، وقد جاء أدبه انعكاسا لحياته الخاصة،

(١) "هو أبو المطرف عبد الرحمن بن فاخر المعروف بابن الدباغ الوزير الكاتب، نشأ بسرقسطة، وعمل بدواوينها وقرَّبه (المقتدر بن هود) أميرها حتىٰ أصبح من وزرائه، وأحسَّ منه جفوة، وخشي أن يسطو به ويبطش، فخرج عنه ونزل بـ(المعتمد بن عباد) في إشبيلية فأجزل قِراه، وخصَّه بحظ من دنياه، وجعله مكان سره ونجواه، وسفر بينه وبين (المتوكل بن الأفطس) صاحب بطليوس حين كان ببابرة، وحدثت مشادَّة بينه وبين ابن عمار قرينه في وزارة المعتمد، وبلغه أنه قُدح فيه بمجلس المعتمد وخشي مغبة ذلك، فلحق بالمتوكل أمير بطليوس فرحَّب به، ويبدو أنه لم يكن موطَّأ الكنف في العشرة، إذ لم يلبث أن فسد ما بينه وبين وزير المتوكل أبي عبد الله بن أيمن، واشتعلت بينهما نار ملأ الأفق شعاعها، وأخذ بأعنان السماء ـ كما يقول ابن بسام ـ ارتفاعها، فكرَّ راجعا إلىٰ سرقسطة، وبعد فترة قليلة قتل ببستان من بساتينها" تاريخ الأدب العربي ـ عصر الدول والإمارات (الأندلس) ـ شوقي ضيف ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ د.ط ـ د.ت ـ ص٤٣٧.

كما أعطىٰ صورة واضحة لحالة القلق والتوتر التي يعيشها عصره، مما جعل أدبه جديرا بالبحث والدراسة، من هنا كان اختيار الباحثة موضوع (شعرية الأسلوب وتجلياته في رسائل ابن الدباغ الأندلسي "دراسة أسلوبية")، وقد جاءت هذه الدراسة لمحاولة الوقوف علىٰ أهم مستويات الأسلوب النثري في رسائل ابن الدباغ كالمستوىٰ التركيبي، والصوتي، والتصويري، والمعجمي، وقد اتجهت هذه الدراسة صوب المنهج الأسلوبي؛ حيث كان أنسب المناهج النقدية لدراسة المستويات الأسلوبية لدىٰ ابن الدباغ، والوقوف علىٰ أبرز الظواهر الأسلوبية التي ميَّزت أدبه، مما يساعد في الوصول إلىٰ الأهداف المرجوة من الدراسة، ولم تقف الباحثة ـ علىٰ حد علمها ـ علىٰ أية دراسة مستقلة تناولت أدب ابن الدباغ سوىٰ دراسة واحدة بعنوان (التشاؤم في رسائل ابن الدباغ دراسة فنية)، للباحث/ فيصل زيدان مزيد السلمي ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة الملك عبد العزيز بجدة ـ المملكة العربية السعودية ـ العدد الخامس والعشرون ـ ١٤٤٢هـ ـ ٢٠٢١م ـ جـ٤.

ويوجد دراسة فنية لأدبه ضمن كتاب (أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري)، للباحث/ فايز عبد النبي فلاح القيسي ـ دار البشير ـ عمان ـ الأردن ـ ط١ ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م ـ من ص٣٧٩: ٤٠٢.

ولا تنكر الباحثة الدور القيم لهاتين الرسالتين، بيد أنهما لم يجعلا "المستويات الأسلوبية" محورًا للدراسة، فاستهدفتْ هذه الدراسة التركيز علىٰ المستويات الأسلوبية في محاولة لرصد أبرز الظواهر الأسلوبية التي ميَّزت إبداع ابن الدباغ، والوقوف عليها بالشرح والتحليل، من هنا جاءت هذه الدراسة إكمالا لما وقفت عليه الدراستان السابقتان، **فتأتي هذه الدراسة إجابة عن عدَّة تساؤلات من أبرزها:**

- ما مفهوم الشعرية؟

- ما مفهوم الأسلوبية؟
- ما الوسائل الأدبية التي استعان بها ابن الدباغ في إبداعه؟
- ما أبرز المستويات الأسلوبية التي وظفها ابن الدباغ في رسائله؟
- ما أبرز الظواهر الأسلوبية التي تميزت بها رسائل ابن الدباغ؟

ومن الجدير بالذكر أن رسائل ابن الدباغ التي وصلت إلينا قد ذكرت في عدة مصادر، كان علىٰ رأسها (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) لابن بسام الشنتريني، و(قلائد العقيان ومحاسن الأعيان) لابن خاقان، و(خريدة القصر وجريدة أهل العصر) للعماد الأصفهاني، بيد أن كتاب (الذخيرة) قد ضم أكبر قدر من رسائله، ولم تخرج المصادر الأخرىٰ عما ذكره ابن بسام، مما دفع الباحثة إلىٰ الاكتفاء بدراسة رسائله من كتاب (الذخيرة) وجعله مصدرا للدراسة.

وقد انتظمت هذه الدراسة في تمهيد وأربعة مباحث تسبقهم مقدمة، وتذيلهم خاتمة، وذلك على النحو الآتي:

تضمنت المقدمة أهميةَ الدراسة والهدفَ منها، ومنهجَها، وتساؤلاتِها، والدراساتِ السابقة عليها، والخطةَ التي سوف تسير عليها.

أما التمهيد فكان تحريرًا لمصطلحي الشعرية والأسلوبية.

وقد عُني المبحث الأول بـ "أسلوبية التراكيب وجمالياتها"؛ حيث وقفت فيه الباحثة علىٰ أساليب ابن الدباغ ذات الانزياح التركيبي كالأساليب الإنشائية، وأسلوب التقديم والتأخير وكذلك أسلوب الحذف، وأسلوب الترادف ومدىٰ مواءمة كل من هذه الأساليب للمعاني والأفكار التي عبرت عنها، والوقوف علىٰ جماليات كل منها.

وجاء المبحث الثاني بعنوان "أسلوبية الإيقاع الصوتي وأنساقه الجمالية" وقد تم فيه الوقوف علىٰ مواضع التكرار، والجناس، والطباق، والسجع، والتوازي، وجماليات كل منها.

والمبحث الثالث فجاء بعنوان "أسلوبية التصوير وتجلياته الجمالية"، وقد تناول التشبيهات، والاستعارات، والكنايات، واستدعاء التراث في رسائل ابن الدباغ، وجماليات كل منها.

أما المبحث الرابع عني بـ "المعجم اللغوي لدى ابن الدباغ ومواءمة مفرداته للسياق" وقد تم فيه رصد أبرز الحقول التي تناولها ابن الدباغ في رسائله، وبيان مدىٰ مواءمتها للسياق، وكان من أبرز هذه الحقول (حقل الحزن والتشاؤم، حقل السعادة والتفاؤل، حقل الطبيعة).

ثم ختمت الدراسة بخاتمة أفصحت عن أهم النتائج التي توصلت إليها.

هذا والحمد لله علىٰ توفيقه لإتمام هذا العمل، وأسأله جل جلاله أن ينفع به، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

التمهيد: أضواء حول الشعرية والأسلوبية

أولا: دلالة الشعرية بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي:

أ ـ دلالة الشعرية في ضوء المعنى اللغوي:

الشعر ديوان العرب الذي يصور حياتهم، ويحفظ مناقبهم ومآثرهم، ويسجل أحوالهم، وأخلاقهم، والمتأمل في المعنىٰ اللغوي للشعر يجده يدور حول عدَّة معانٍ من أبرزها أنه بمعنىٰ العلم، فيقال: "شَعَرَ: عَلِمَ...وليتَ شِعْري أي ليتَ عِلْمي أو ليتني عَلِمْتُ...وأَشْعَرَه الأمرُ وأَشْعَرَه به: أَعْلَمَهُ إيَّاه، وشَعَرَ به: عَقَلَه...والشِّعْرُ منظومُ القولِ غلبَ عليه لشرفه بالوزن والقافية، وإن كان كل عِلم شعرًا، وشَعَر الرجل: قال الشعر، وشَعُرَ: أجاد الشعرَ... وسُمي شاعرا لفطنته"(١)، فمعناه يدور حول العلم، والعقل، والفطنة، والكلام الموزون المقفَّىٰ، و"شَعَرتُ بكذا أَشْعُرُ شِعرا لا يريدون به من الشعر المُبيَّت، إنما معناه: فَطِنتُ له، وعلمتُ به، ومنه: ليت شِعري، أي: عِلمي، وما يُشْعِرُك أي: ما يُدريك، ومنهم من يقول: شَعَرتُه أي عَقَلتُه وفَهِمتُه، والشعر: القريض المحدد بعلامات لا يجاوزها، وسمي شعرا؛ لأن الشاعر يفطن له بما لا يفطن له غيره من معانيه"(٢)، ومن ثم جاءت مقولة (ابن رشيق): "وإنما سُمي شاعرا لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره"(٣)، فالشاعر يفوق غيره في توليد المعاني، وابتداع الألفاظ.

---

(١) لسان العرب ـ ابن منظور ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣ ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م ـ مادة (شعر).

(٢) كتاب العين ـ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ـ ت/ مجدي المخزومي، إبراهيم السامرائي ـ دار الهلال ـ د.ط ـ د.ت ـ جـ١ ـ (مادة شعر) ـ ص٢٥١.

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ـ ابن رشيق القيرواني ـ ت/ محمد محيي الدين عبد الحميد ـ دار الجيل ـ ط٥ ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ـ جـ١ ـ ص١١٦.

وعلىٰ ضوء ما سبق يتضح أن لفظ الشعر يحمل معنيين أحدهما حسي وهو خاص بالكلام الموزون المقفىٰ، والآخر معنوي وهو الذي يطلق علىٰ العلم والدراية والفطنة.

ب ـ دلالة الشعرية في ضوء المعنى الاصطلاحي:

مصطلح الشعرية وإن كان من المصطلحات الحديثة، إلا أنه قد ورد له ذكر عند النقاد العرب القدامىٰ في ثنايا كتبهم، وقد ارتبط عندهم بفن الشعر خاصة؛ حيث أورده (الفارابي) أثناء شرحه لكتاب (فن الشعر) لأرسطو قائلا: "الأقاويل الشعرية هي التي تركب من أشياء شأنها أن تُخيَّل في الأمر الذي فيه مخاطبة حالا ما، أو شيئا ما أفضل أو أخس، وذلك إما جمالا أو قبحا، أو جلالة أو هوانا، أو غير ذلك مما يشاكل هذه"(١)، فقد ربط (الفارابي) الشعرية بالتخييل بحيث إذا خلا الكلام من التخييل خلا من الشعرية.

كما اتفق القرطاجني مع الفارابي في هذا الأمر حيث جعل "المعتبر في حقيقة الشعر إنما هو التخيل والمحاكاة" (٢)، فقد جعل التخيل هو قوام المعاني الشعرية.

وتعد رؤية هذين العالمين رؤية سابقة لعصريهما؛ فقد انتهت البحوث في العصر الحديث إلىٰ أن الشعر تصوير في المقام الأول، وإذا خلا الشعر من التصوير، عُدَّ مجرد كلام موزون مقفىٰ، كالشعر التعليمي؛ ولذلك ترددت مقولة (الشعر صورة ناطقة، والرسم شعر صامت).

---

(١) إحصاء العلوم ـ الفارابي ـ ت/ عثمان أمين ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ ط٢ ـ ١٩٤٩م ـ ص٦٧.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ـ أبو الحسن حازم القرطاجني ـ ت/ محمد الحبيب بن الخوجة ـ الدار العربية للكتاب ـ تونس ـ ط٣ ـ ٢٠٠٨م ـ ص ١٩.

أما مصطلح الشعرية في العصر الحديث فقد اتسع مفهومه ليشمل الشعر والنثر علىٰ حد سواء، وقد حاول نقاد الغرب المحدثين تقديم مفهوم لهذا المصطلح، فها هو (جاكبسون) يربط بين الشعرية وعلم اللسانيات؛ حيث يرىٰ أن "الشعرية تهتم بقضايا البنية اللسانية تماما مثل ما يهتم الرسم بالبنيات الرسمية، وبما أن اللسانيات هي العلم الشامل للبنيات اللسانية، فإنه يمكن اعتبار الشعرية جزءا لا يتجزأ من اللسانيات"(١)، ثم هو يرىٰ أن الشعرية لا تقتصر علىٰ الشعر فحسب، بل تتعداه لتشمل جميع الأجناس الأدبية فيقول: "ويمكن تحديد الشعرية باعتبارها ذلك الفرع من اللسانيات الذي يعالج الوظيفة الشعرية في علاقاتها مع الوظائف الأخرىٰ للغة، وتهتم الشعرية بالمعنىٰ الواسع للكلمة بالوظيفة الشعرية لا في الشعر فحسب؛ حيث تهيمن هذه الوظيفة علىٰ الوظائف الأخرىٰ للغة، وإنما تهتم بها أيضا خارج الشعر"(٢)، فالشعرية عنده هي أساس العمل الأدبي التي تنقله من اللغة العادية إلىٰ اللغة الأدبية.

أما (جون كوهين) فيربط بين الشعرية والأسلوب الشعري جاعلا الانزياح اللغوي هو لبُّ الشعرية، والانزياح عنده "يعني وجود تقليد شعري يحدده العرف العام ويقتضي الشعر أن يكون انحرافا وانزياحا عن هذا التقليد الشعري، لذلك تبحث الشعرية عند (جون كوهن) في تميز الأساليب" (٣)، فالشعرية عند هذا الناقد تبحث في

(١) قضايا الشعرية ـ رومان ياكبسون ـ ترجمة: محمد الولي، مبارك حنون ـ دار توبقال للنشر ـ الدار البيضاء ـ المغرب ـ ط١ ـ ١٩٨٨م ـ ص٢٤.
(٢) المرجع السابق ـ ص٣٥.
(٣) اتجاهات نقد الشعر العربي في العراق ـ ص١٠٠.

تميّز الأساليب، وكلما بعدت الأساليب عن المباشرة إلىٰ التلميح، وتخطَّت حدود المتوقع والمألوف كلما زادت الشعرية في العمل الأدبي.

ويتفق (طودوروف) مع (جاكبسون) في أن الشعرية لا تقتصر علىٰ الشعر وحده، بل تشمل النثر أيضا؛ حيث يقول: "يبدو لنا أن اسم شعرية ينطبق عليه إذا فهمناه بالعودة إلىٰ معناه الاشتقاقي أي اسما لكل ما له صلة بإبداع كتب أو تأليفها؛ حيث تكون اللغة في آن واحد الجوهر والوسيلة لا بالعودة إلىٰ المعنىٰ الضيق الذي يعني مجموعة من القواعد أو المبادئ الجمالية ذات الصلة بالشعر، وستتعلق كلمة شعرية في هذا النص بالأدب كله سواء أكان منظوما، أم لا، بل قد تكون متعلقة علىٰ الخصوص بأعمال نثرية" (١)، والشعرية عنده تعني مجموعة الخصائص التي تميز العمل الأدبي عن غيره؛ حيث يقول: "ليس العمل الأدبي في حد ذاته هو موضوع الشعرية، فما تستنطقه هو خصائص هذا الخطاب النوعي الذي هو الخطاب الأدبي، وكل عمل عندئذ لا يعتبر إلا تجليا لبنية محددة وعامة ليس العمل إلا إنجازا من إنجازاتها الممكنة، ولكل ذلك فإن العلم لا يُعنىٰ بالأدب الحقيقي، بل بالأدب الممكن، وبعبارة أخرىٰ يُعنىٰ بتلك الخصائص المجردة التي تصنع فرادة الحدث الأدبي، أي أدبيته"(٢)، فالشعرية عنده تكمن في استخلاص خصائص أو جماليات العمل الأدبي التي تجعل منه أدبا فريدا ومتميزا.

وكما اهتم نقاد الغرب بقضية الشعرية، فقد اثارت أيضًا اهتمام النقاد العرب بشكل أوضح، فها هو (كمال أبو ديب) يحدد معنىٰ الشعرية في قوله: هي"وظيفة من

(١) الشعرية ـ تزفيطان طودوروف ـ ترجمة: شكري المبخوت، راء بن سلامة ـ دار توبقال للنشر ـ الدار البيضاء ـ المغرب ـ ط١ ـ ١٩٨٧م ـ ص٢٣، وما بعدها.

(٢) الشعرية ـ ص٢٣.

وظائف ما سأسميه الفجوة، أو مسافة التوتر وهو مفهوم لا تقتصر فاعليته علىٰ الشعرية، بل إنه لأساسي في التجربة الإنسانية بأكملها، بيد أنه خصيصة مميزة أو شرط ضروري للتجربة الفنية، أو بشكل أدق للمعاينة أو الرؤيا الشعرية بوصفها شيئا متمايزا عن التجربة أو الرؤية العادية اليومية"(١)، فعلىٰ ضوء هذا الكلام ترىٰ أن (كمال أبو ديب) قد حصر الشعرية في وجود فجوة أو مفارقة بين المعنىٰ الظاهري للفظ والمعنىٰ العميق له، وكلما كان التباعد بين المعنيين كلما كانت الشعرية أرسخ في العمل الأدبي، أما إذا تطابق المعنيان فحينئذ تنعدم الشعرية، ومن الواضح كذلك أنه لم يجعل الشعرية مقصورة علىٰ فن الشعر فقط، بل يجعلها ضرورة لأي تجربة فنية شعرا كانت أم نثرا.

ويرىٰ (عبد الجبار البصري) أن "الشعرية ليست تاريخ الشعر، ولا تاريخ الشعراء... والشعرية ليست فن الشعر؛ لأن فن الشعر يقبل القسمة علىٰ أجناس وأغراض...والشعرية ليست الشعر، ولا نظرية الشعر...إن الشعرية في ذاتها هي ما يجعل الشعر شعرا، وما يسبغ علىٰ حيز الشعر صفة الشعر، ولعلها جوهره المطلق"(٢)، فهو يربط بين الشعرية والخصائص الفنية التي ترتقي بالعمل الأدبي وتميزه من غيره.

أما (حسن ناظم) فيحدد الشعرية بقوله: "إن الشعرية هي محاولة وضع نظرية عامة ومجردة ومحايثة للأدب بوصفه فنا لفظيا، إنها تستنبط القوانين التي يتوجه الخطاب اللغوي بموجبها وجهة أدبية، فهي إذًا تشخيص قوانين الأدبية في أي خطاب لغوي،

(١) في الشعرية ـ كمال أبو ديب ـ مؤسسة الأبحاث العربية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٩٨٧م ـ ص٢٠.
(٢) اتجاهات نقد الشعر العربي في العراق ـ مرشد الزبيدي ـ اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ ١٩٩٩م ـ ص١٠٤.

وبغض النظر عن اختلاف اللغات"[١]، فهو ينظر للشعرية من حيث هي إبداع لفظي غير مختص بجنس أدبي معين، بل يشمل جميع الأجناس الأدبية، شريطة أن تتوفر فيه عناصر جمالية مختلفة.

بينما يرىٰ (محمد بنيس) أن "الشعرية العربية كانت فرعا من الدراسات اللغوية المتمركزة حول تفسير النص القرآني وإبراز لغته المعجزة التي لا قدرة لأي نص غيره علىٰ التشبُّه بها، فبالأحرىٰ تحديها، هكذا كانت كل من دراسات الإعجاز القرآني، ودراسات الشعر والنثر تضع الحدود، وتكون الشعرية العربية ملحقة بالدراسات القرآنية أو مشتقة منها بمعنىٰ أن قضاياها وحلولها ليست بالضرورة مختصة بحقل النص الشعري"[٢]، فهو يركز في تعريفه للشعرية علىٰ اللغة ويربطها بالدراسات القرآنية؛ حيث يجعلها أداة للكشف عما يحمله اللفظ القرآني من إعجاز.

والذي يبدو لي علىٰ ضوء ما سبق أن الشعرية مسحة من الجمال يضفيها الكاتب علىٰ نتاجه الأدبي شعرا كان أم نثرا فيبعده عن المباشرة إلىٰ التلميح، ويتخطىٰ به حدود المتوقع والمألوف، مما يكسر الرتابة والملل، ويُحدث أشد الأثر في نفس المتلقي.

أما علم الشعرية فيُعنىٰ بدراسة السمات الجمالية التي تُميِّز العمل الأدبي عن غيره، والكشف عن مواطن الجمال والإبداع فيه من خلال اللغة.

---

(١) مفاهيم الشعرية دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم ـ حسن ناظم ـ المركز الثقافي العربي ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٩٤م ـ ص٩.

(٢) الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها ـ محمد بنيس ـ دار توبقال للنشر ـ الدار البيضاء ـ المغرب ـ ط٢ ـ ٢٠٠١م ـ ص٤٣.

ثانيا: مفهوم الأسلوبية في ضوء المعنيين اللغوي والاصطلاحي:

الأسلوبية في ضوء المعنى اللغوي:

الأسلوب هو وسيلة الأديب في إيصال مشاعره وأحاسيسه، والتعمق داخل وجدان المتلقي، ويدور الأسلوب في أصل وضعه اللغوي حول عدَّة معانٍ من أبرزها أنه: "السطر من النخيل... والطريق"(١)، وهذا المعنىٰ ينظر إلىٰ الأسلوب من الناحية الحسية؛ حيث الترتيب والتنظيم، كما أنه يدل علىٰ: "الوجه والمذهب...والفن، يقال أخذ فلان في أساليب من القول، أي أفانين منه، ويُجمع علىٰ أساليب"(٢)، فيقصد به الطريقة والمنهج الذي يسير الشخص وِفقهما، وبهذا يكون قد انتقل مفهومه من المدلول الحسي إلىٰ المدلول المعنوي؛ حيث الأساليب القولية، كما أنه يطلق علىٰ "الفن"(٣)، وهنا يتطور مفهومه ليأخذ معنىٰ أدبيا.

واستنادا إلىٰ ما سبق يمكن القول بأن الأسلوب هو طريقة خاصة في التعبير تميز الإنسان عن غيره، وهو فن القول كذلك.

الأسلوبية في ضوء المعنى الاصطلاحي:

بداية لابد من التفريق بين الأسلوب والأسلوبية، فقد ظهر مصطلح الأسلوبية كمنهج من مناهج النقد الأدبي في العصر الحديث، أما الأسلوب فقد تردد ذكره في تراثنا العربي القديم؛ حيث أشار إليه (عبد القاهر الجرجاني) في قوله: "الأسلوب الضرب في النظم والطريقة فيه"(٤)، فهو يرىٰ أن الأسلوب هو طريقة النظم.

---

(١) لسان العرب ـ مادة (سلب).

(٢) المرجع السابق ـ المادة نفسها.

(٣) مختار الصحاح ـ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ـ مكتبة لبنان ـ بيروت ـ ١٩٨٦ م ـ مادة (سلب).

(٤) دلائل الإعجاز ـ عبد القاهر الجرجاني ـ قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر ـ د.ط ـ د.ت ـ ص٤٦٨.

بينما ربط (حازم القرطاجني) الأسلوب بالمعنىٰ، وذلك في قوله: "ولما كانت الأغراض الشعرية يُوقع في واحد منها الجملة الكبيرة من المعاني والمقاصد، وكانت لتلك المعاني جهات فيها توجد، ومسائل منها تقتنىٰ، وكانت تحصل للنفس بالاستمرار علىٰ تلك الجهات، والنقلة من بعضها إلىٰ بعض وبكيفية الاطراد في المعاني صورة وهيئة تسمىٰ الأسلوب"(١)، فقد جعل (حازم القرطاجني) الأسلوب هو طريقة صوغ المعاني.

ويشرح (ابن خلدون) الأسلوب من خلال قوله: "فاعلم أنه عبارة عندهم عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب، أو القالب الذي يفرغ فيه....وأنَّ لكل فنٍّ من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه علىٰ أنحاء مختلفة"(٢)، فالأسلوب عنده عبارة عن وعاء، أو نسيج لغوي تصبُّ فيه الألفاظ والتراكيب، وهو متنوع تبعا لتنوع فنون الكلام.

وعلىٰ ذلك يمكن القول بأن تعريف الأسلوب عند النقاد العرب القدامىٰ لم يخرج عن معناه اللغوي وهو كونه طريقة خاصة في التعبير.

أما مصطلح الأسلوبية كمنهج من مناهج النقد الأدبي فقد ارتبط ظهوره بالعصر الحديث، وقد حاول نقاد الغرب المحدثون تقديم مفهوم لهذا المصطلح، وإن لم يقف أحد منهم علىٰ تعريف جامع مانع له؛ حيث تعددت المفاهيم حوله واختلفت من ناقد لآخر وفقا لاختلاف رؤاهم، ويعد (شارل باري) أول من كتب في الأسلوبية، وهو أحد تلامذة العالم السويسري (دي سوسير) مؤسس علم اللغة الحديث، وقد حاول (شارل باري) أن يوجد علما يهتم باللغة الانزياحية أو اللغة الجمالية وهي لغة

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ـ ص ٣٢٧.

(٢) مقدمة ابن خلدون ـ ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ـ ت/ عبد الله محمد الدرويش ـ دار البلخي ـ دمشق ـ ط ١ ـ ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م ـ جـ ٣ ـ ص ١١٥٩.

الأدب، فكانت الأسلوبية هي الأداة التي ربط بها بين علم اللغة والأدب، فالأسلوبية عنده هي: "العلم الذي يدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية محتواها العاطفي، أي التعبير عن واقع الحساسية الشعورية من خلال اللغة وواقع اللغة عبر هذه الحساسية"(١)، فالأسلوبية عنده تتخطىٰ حدود اللغة بمعناها الظاهري للغوص في أعماقها واكتشاف مدلولها الوجداني.

أيضا من النقاد الغربيين الذين حاولوا وضع مفهوم للأسلوبية (بيرو جيرو) الذي يرىٰ أن "الأسلوبية هي طريقة التعبير عن الفكر بواسطة اللغة"(٢)، فهو يجعل الأسلوبية وسيلة للتعبير عن الأفكار من خلال الألفاظ والكلمات.

ويعبر عنها (رومان جاكبسون) بأنها: "بحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب"(٣)، فهي تُعنىٰ بالخصائص الأسلوبية التي تميز الكلام الفني عن غيره من الكلام العادي، وتميز أديبا عن أديب آخر.

ويحدها (ميشال ريفاتير) بقوله: "الأسلوبية علم يُعنىٰ بدراسة الآثار الأدبية دراسة موضوعية وهي بذلك تُعنىٰ بالبحث عن الأسس القارة في إرساء علم الأسلوب وهي تنطلق من اعتبار الأثر الأدبي ألسنية تتحاور مع السياق ـ خصوصا المضموني ـ تحاورا خاصا"(٤)، فالأسلوبية عنده تدرس الخصائص التي تميز النص معتمدة علىٰ السياق الداخلي فقط بغض النظر عن كاتب النص.

---

(١) علم الأسلوبية مبادؤه وإجراءاته ـ صلاح فضل ـ دار الشروق ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م ـ ص١٨.

(٢) الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ـ عبد القادر عبد الجليل ـ دار صفاء للنشر والتوزيع ـ عمان ـ ط١ ـ ٢٠٠٢م ـ ص١٢٢.

(٣) الأسلوبية والأسلوب ـ عبد السلام المسدي ـ الدار العربية للكتاب ـ طرابلس ـ ط٣ـ د.ت ـ ص٣٧.

(٤) الأسلوبية في النقد العربي الحديث دراسة في تحليل الخطاب ـ فرحان بدري الحربي ـ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ٢٠٠٣م ـ ص١٥.

وفي الحقيقة فإن فن الأدب ينهض بين التأثر، والتأثير، وبقدر درجة التأثير يكون الحكم علىٰ الأثر الأدبي جودة أو رداءة.

وكما شغل مصطلح الأسلوبية النقاد الغرب شغل أيضا النقاد العرب المحدثين، وقد حاولوا تقديم تعريف للأسلوبية، ومن هؤلاء (عبد السلام المسدي) الذي يعرفها بأنها "تُعنىٰ بدراسة الخصائص اللغوية التي تنقل الكلام من مجرد وسيلة إبلاغ إلىٰ أداة تأثير فني"(١)، فهو يرىٰ أن الأسلوبية هي ما يشتمل عليه النص من خصائص جمالية تنقله من مجرد كلام عادي إلىٰ كلام أدبي مؤثر.

بينما يرىٰ (فتح الله سليمان) أن الأسلوبية "علم وصفي يُعنىٰ ببحث الخصائص والسمات التي تميز النص الأدبي بطريق التحليل الموضوعي للأثر الأدبي الذي تتمحور حوله الدراسة الأسلوبية، ومن هذه النقطة تتحدد علاقة الأسلوبية والنقد الأدبي بزوايا التقارب والتباعد ونقاط الاتفاق والاختلاف"(٢)، فقد قصر هذا الباحث الأسلوبية علىٰ مجال الأدب، وجعل مهمتها تذوق هذا الأدب والوقوف علىٰ خصائصه التي تميزه من غيره.

ويربط (صلاح فضل) بينها وبين البلاغة العربية القديمة، فينظر إليها "كوريث شرعي للبلاغة العجوز التي أدركها سن اليأس(٣)، وحكم عليها تطور الفنون والآداب الحديثة بالعقم، ينحدر من أصلاب مختلفة، ترجع إلىٰ أبوين فتيين هما: علم اللغة الحديث أو الألسنية إن شئنا أن نطلق عليها تسمية أشد توافقا مع دورها في أمومة علم الأسلوب من جانب، وعلم الجمال الذي أدىٰ مهمة الأبوة الأولىٰ من جانب

(١) الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث تحليل الخطاب الشعري والسردي ـ نور الدين السد ـ جـ١ ـ دار هومة ـ الجزائر ـ د.ط ـ ٢٠١٠م ـ ص١٣.

(٢) الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية ـ فتح الله أحمد سليمان ـ تقديم/ طه وادي ـ مكتبة الآداب ـ القاهرة ـ د.ط ـ ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م ـ ص٣٥.

(٣) إنني أتحفظ علىٰ وصف البلاغة العربية بأنها عجوز أدركها سن اليأس.

آخر"(١)، فقد جعلها تتفرع من أصلين هما علم البلاغة العربية القديمة، وعلم اللغة الحديث.

ويعرفها (عدنان بن ذريل) بأنها: "علم لغوي حديث يبحث في الوسائل التي تكسب الخطاب العادي أو الأدبي خصائصه التعبيرية والشعرية فتميزه من غيره، إنها تتقرَّىٰ الظاهرة الأسلوبية بالمنهجية العلمية اللغوية، وتعتبر الأسلوب ظاهرة هي في الأساس لغوية تدرسها في نصوصها وسياقاتها"(٢)، فالأسلوبية عنده تقوم بتحليل الخطاب من جانب لغوي لتقف علىٰ خصائصه اللغوية والجمالية التي تميزه من غيره، وتدرس ظواهره الأسلوبية دراسة علمية لغوية.

إذًا يمكن القول بأن الأسلوبية تختلف عن الأسلوب، فالأسلوب وصف للكلام، وهو أيضا وعاء الكلام وقالبه كما تبين سابقا، بينما الأسلوبية علم يبحث في خصائص الخطاب الأدبي التي تميزه من غيره، وتجعله أكثر إقناعا وتأثيرا من خلال طرق التعبير اللغوية، معتمدة علىٰ تحليل الألفاظ اللغوية، متخطِّية معناها الظاهري للوصول إلىٰ مدلولاتها الكامنة.

وبالتأمل فيما سبق تتبين العلاقة القوية بين الشعرية والأسلوبية؛ حيث تبحث كلتاهما عن مكامن الجمال والفنية والأساليب الأدبية، كما تسعىٰ كل منهما إلىٰ الرقي بالنص الأدبي وتقديمه في أبهىٰ صورة، فضلا عن اهتمام كلتيهما بما يحدثه النص الأدبي من أثر في نفس المتلقي.

(١) علم الأسلوب مبادؤه وإجراءاته ـ ص٥.

(٢) الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث تحليل الخطاب الشعري والسردي ـ ص٤٢.

المبحث الأول: أسلوبية التراكيب وجمالياتها

لا شك أن اختيار الأديب لبعض التراكيب اللغوية دون غيرها، وتفضيل بعضها علىٰ بعض في صوغ تجربته يحمل في طياته بعض الدلالات النفسية والجمالية، والأدب بوصفه إبداعا يكره التقيد والحدود، مما يجعل الأديب يلجأ إلىٰ بعض الوسائل التي تعينه علىٰ كسر الرتابة والملل، ويعد "الانزياح"(١) التركيبي أحد الوسائل التي يستعين بها الأديب لخرق المألوف وكسر الحدود مما يضفي علىٰ الكلام إثارة وحيوية، وتظهر براعة الأديب في قدرته علىٰ تجاوز الأساليب المعتادة، والعدول عنها إلىٰ بعض الأساليب التي تجذب انتباه القارئ، وتثير دهشته، وتعبر أصدق تعبير عن تجربته، مما يميز أسلوب الأديب ويجعله متفردا، وقد استعان ابن الدباغ ببعض الأساليب التي تندرج تحت أسلوب الانزياح التركيبي كالأسلوب الإنشائي، وأسلوب التقديم والتأخير والحذف، وغيرها، ولنتعرف علىٰ بعض الأساليب اللغوية التي آثرها ابن الدباغ علىٰ غيرها من الأساليب، ودلالة ذلك.

أولًا: الأسلوب "الإنشائي"(٢)، وجمالياته:-

قد يلجأ الأديب إلىٰ بعض الأساليب الإنشائية للتعبير عما يجول بخاطره من مشاعر وأحاسيس متجاوزا بذلك معناها الحقيقي إلىٰ معان أخرىٰ قصدها الأديب، مما يجعل الكلام أكثر دهشة وإثارة، وقد برز الأسلوب الإنشائي في رسائل ابن الدباغ

---

(١) "الانزياح: هو خروج عن المألوف أو ما يقتضيه الظاهر، أو هو خروج عن المعيار لغرض قصد إليه المتكلم، أو جاء عفو الخاطر لكنه يخدم النص بصورة أو بأخرىٰ وبدرجات متفاوتة" الأسلوبية الرؤية والتطبيق - يوسف أبو العدوس - دار المسيرة - الأردن - ط١ - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م - ص١٨٠.

(٢) (الإنشاء: ما لا يحتمل الصدق والكذب لذاته) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع - السيد أحمد الهاشمي - المكتبة العصرية - بيروت - د.ط - د.ت - ص ٦٩.

بشكل واضح، وكان من أكثر الأساليب الإنشائية ظهورا في رسائله أسلوبا الاستفهام والأمر كما سيتضح.

أ ـ أسلوب الاستفهام[١]:

وهو من الأساليب الإنشائية الطلبية، ومن ينعم النظر في رسائل ابن الدباغ يجد أسلوب الاستفهام قد ظهر جليا في معظمها، بيد أنه لم يأت بمعناه الحقيقي، وإنما تعدَّاه إلىٰ معان أخرىٰ أفادها أسلوب الاستفهام، مما كان له أثره في لفت انتباه المتلقي، وتشوقه لمعرفة المعنىٰ العميق الذي يتوارىٰ وراء هذا الاستفهام، ومن المواضع التي يتجلىٰ فيها أسلوب الاستفهام قول ابن الدباغ: "وليت شعري أتنجز الأيام موعودًا؟، أو تدني من الأمل بعيدًا؟، فترضي بما أسخطت، وتعتذر بما أذنبت، وتنسي مضض شدتها بليان، وتمحو أثر إساءتها بإحسان؟"[٢]، جاءت هذه الفقرة ضمن رسالة تفيض بالأسىٰ والحزن كتبها ابن الدباغ لأحد أصدقائه يشرح فيها افتقاده له وشعوره بالوحشة والاغتراب من دونه، ومدىٰ قسوة الأيام عليه، وفِعلها به، وقد استخدم هنا أسلوب الاستفهام الذي جاء حاملا في طياته معاني الاستبطاء واليأس من تصالح الدنيا معه.

أيضا يتبدَّىٰ أسلوب الاستفهام في قوله: "فما أدري أي وجه أيمِّم؟، ولا علىٰ أي أمر أعزم؟، ويا ليت شعري أين الفرج؟ فهذا التناهي، وقد بلغتْ القلوبُ الحناجر، ومتىٰ التلاقي؟"[٣]، يشرح ابن الدباغ في هذه الرسالة عدوان الدنيا عليه، واجتماع

---

(١) (الاستفهام: هو طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل) جواهر البلاغة ـ ص ٧٨.

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ ابن بسام الشنتريني ـ ت/ إحسان عباس ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م ـ د.ط ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٥٤.

(٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٥٧.

النوائب حوله، واشتداد الكرب به، وقد عبر عن هذه المعاني بحشد من أساليب الاستفهام التي جاءت حاملة في طياتها أمارات الحيرة والجزع والاستبطاء، مفصحا من خلالها عن يأسه وقنوطه من انفراج الكرب وتبدل الأحوال.

كما يظهر أسلوب الاستفهام في قوله: "وكيف أوصيكَ وأنتَ ساحر البلد، وأحد النفاثات في العقد؟ ومن العجب أن أدعوك إلىٰ ذلك وأنتَ الذي جنيتَ عليَّ فيه، وأذقتني مرارة تجنيه، فكيف تصلح وأنتَ المفسد، وكيف تستدنيه وأنتَ المبعد؟، وكيف تنصف؟ وأنتَ الظالم أو تبني وأنتَ الهادم؟"(١)، أرسل ابن الدباغ هذه الرسالة لأحد الواشين به الذي كان سببا في إحداث الوقيعه بينه وبين (المقتدر بن هود) أمير سرقسطة، وقد استعان هنا بأسلوب الاستفهام الذي حمل في طياته معنىٰ التعجب؛ حيث طلب منه في بداية الرسالة أن يتلطف في تليين قلب الأمير عليه وأن يحاول تسكين غضبه منه، ثم تذكَّر أنه هو السبب الأساس في إيغار صدر الأمير وقسوة قلبه عليه، فتعجب من نفسه كيف يوصيه بهذا رغم ما صدر منه، ولا يخفىٰ ما حمله أسلوب الاستفهام هنا من لفت انتباه المتلقي وإثارة ذهنه.

كذلك يتجلىٰ أسلوب الاستفهام في قوله: "فمالي حرمتُ منه ما هو معلوم دون ملوك العصر، من سعة الحلم وكثرة الصبر؟ ولم عدمتُ عنده ما هو موصوف به من كظم الغيظ إذا أُحفظ، وذكر الرضىٰ إذا أُغضب؟ بل كيف حتىٰ خُصِّصتُ وحدي من بين العالم، بأن يصغي في جهتي إلىٰ النمائم؟"(٢)، جاءت هذه الفقرة ضمن رسالة "يخبر فيها بما جرىٰ عليه بدولة المقتدر"(٣)، وقد تجلىٰ أسلوب الاستفهام هنا وأفاد

(١)الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٦٠.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٦٩.
(٣) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٦٨.

معنىٰ التعجب؛ حيث يتعجب هنا من موقف (المقتدر بن هود) تجاهه وقد خالف ما عُرف عنه من سعة الحلم، وكثرة الصبر، وعدم السماع للنمائم، فيتعجب لماذا حُرم وحده من سعة حلمه، وكثرة صبره، بل اختص وحده بإصغاء (المقتدر) للنمائم التي قيلتْ في حقه.

كما يبرز أسلوب الاستفهام في قوله: "فليت شعري: لم هذا؟ وعلام الرغبة في الازدياد، وهذا الحرص علىٰ التماد؟ ولو أن الأيام كلها في نعيم محتفل، وسرور متصل، لما كان ذلك إلا بمنزلة ظلّ زائل"(١)، جاءت هذه الفقرة ضمن رسالة لابن الدباغ يشرح فيها ما تعرَّض له من محن وأهوال تُشيِّب رأس الوليد، وقد استعان هنا بأسلوب الاستفهام الذي حمل في طياته إنكارا حزينا لبقاء روحه، وعدم مفارقتها لجسده، رغم ما حلَّ به من المصائب والأهوال، فينكر عليها هذا موجِّها إليها استفهاما إنكاريا: "لم هذا؟ وعلام الرغبة في الازدياد، وهذا الحرص علىٰ التماد؟" رغم علمها بأن نعيم الدنيا زائل، وغير دائم، وهذا القول يتضمن معنىٰ قول أبي العلاء المعري:

تعــبٌ كلُّهــا الحيــاة فمــا أعْ ... جــبُ إلا مِــن راغــبٍ في ازديــادِ(٢)

وهذا يفصح عما تنطوي عليه نفس ابن الدباغ من حزن عميق، وألم دفين، مما كان له أثره في تعميق المشاركة الوجدانية بينه وبين المتلقي.

أيضا يظهر أسلوب الاستفهام في قوله: "نعم قد حُمَّ ما توقعنا من بَيْن، وصار أمرنا أثرًا بعد عين، وصرنا عنكم في الطرف الأقصىٰ، وشطَّتْ بنا غربةُ النوىٰ، وتساوينا علىٰ

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٧٧.

(٢) ديوان سقط الزند ـ أبو العلاء المعري ـ مطبعة هندية ـ القاهرة ـ د.ط ـ ١٩٠١م ـ ١٣١٩هـ ـ ص٨٢.

عارضِ الفرقة والأسىٰ، فمتىٰ تقول الدار تجمعنا؟ وقد نثرتنا الأيامُ فكيف تنظمنا؟ هذا بعيد"(١)، تكشف هذه الفقرة عن حالة الأسىٰ والحزن التي يعيشها ابن الدباغ، وقد جاءت ضمن رسالة لابن الدباغ "خاطب بها الوزير أبا محمد بن عبدون من سرقسطة"(٢)، وذلك بعد الفرقة التي حدثت بينهما إثر ترك ابن الدباغ للوزارة وانتقاله عن سرقسطة، ويتجلىٰ أسلوب الاستفهام هنا في قوله: (فمتىٰ تقول الدار تجمعنا؟ وقد نثرتنا الأيامُ فكيف تنظمنا؟) وهنا يفيد الاستفهام معنىٰ الاستبعاد، وقد أفصح ابن الدباغ من خلاله عما تكنه نفسه من يأسه من الرجوع للوزارة مرة أخرىٰ.

وعلىٰ ضوء ما سبق يتضح أن ابن الدباغ قد استخدم أسلوب الاستفهام استخداما وجدانيا موحيا ومؤثرا يحمل في طياته أمارات الحيرة والجزع تارة، والاستبطاء واليأس تارة ثانية، والتعجب تارة ثالثة، والإنكار الحزين تارة أخرىٰ.

ب ـ أسلوب الأمر(٣):

وهو من الأساليب الإنشائية الطلبية، وقد استخدمه ابن الدباغ في بعض رسائله، بيد أنه خرج به لبعض المعاني التي يفيدها أسلوب الأمر، مما كان له أثره في تنشيط ذهن المتلقي وإقبال النفس، ومن ذلك قوله: "ضاقتْ بي الأرض كلها، وانسدتْ عليَّ سبلها، وضللتُ عن كل عزاء وتماسك، وأُسلمتُ إلىٰ كل يأس وتهالك، فتدارِكني ممزقًا، ونجِّني غرقًا، وأخطرني ببالك، واعرضْ حالي علىٰ اهتبالك عسىٰ أن يتجه للفرج وجهه أو يلوح عنه فجر"(٤)، تعددت أفعال الأمر هنا (تدارِكني ـ نجِّني ـ

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٣٠٢.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٣٠٢.
(٣) (الأمر: هو طلب فعل الشيء علىٰ وجه الاستعلاء) ينظر جواهر البلاغة ـ ص ٧١.
(٤) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٥٥.

أخطِرني ـ اعرضْ) وقد تعاونت جميعها في إيصال مشاعر الضيق واليأس التي يعيشها ابن الدباغ؛ حيث اتخذ منها متنفسا أفصح من خلاله عن حاجته إلىٰ من يقف بجانبه ويأخذ بيده ليتخطىٰ محنته، وقد خرج الأمر هنا إلىٰ معنىٰ الالتماس الممزوج بالاستغاثة، مما كان له أثره في نفس المتلقي، وإثارة مشاعره وبخاصة أنه شرح ما تركه هذا الموقف عليه من آثار صعبة، وقد أطنب في ذكرها؛ ليستميل عاطفة المتلقي فيرِقّ لحاله ويأسو لمآله.

كما استخدم ابن الدباغ أسلوب الأمر في قوله: "واصلْ فقد أغببت، واعتذرْ بما أذنبت، وهاتِ يا سيدي أخبارك التي هي أشهىٰ إلىٰ نفسي من عَصْرِ الصَّبا، وأندىٰ علىٰ كبدي من نسيم الصبا، وجدِّدْ بك وبها عهدي فقد عفا منه رسْم، ولاحَ عليه للقِدم وسْم"(١)، يتضح هنا هيمنة فعل الأمر علىٰ هذه الفقرة من الرسالة؛ حيث تكرر أربع مرات (واصلْ ـ اعتذرْ ـ هاتِ ـ جدِّدْ)، وقد وجَّه من خلاله النصح الممزوج بالعتاب للمرسل إليه، كما بثَّ بهذه الأفعال مشاعر الشوق والحنين التي يكنها صدره للمرسل إليه.

أيضًا برز أسلوب الأمر جليا في قول ابن الدباغ: "وعرِّفني بم تقطعُ دهرَك، وعلىٰ أي شيءٍ تنفقُ عمرَك، ونُصَّ علىٰ ما تجده عندك من العجائب، واستفدته بعدي من الغرائب، ولا تكتمني شيئًا وابسطْه كله بسطَ المسهب، واشرحْ جميعَه شرحَ المستوعب، تمحُ بذلك إساءةَ الإغباب، وتزلْ عني دواعي الاكتئاب"(٢)، تعاضدت أفعال الأمر هنا التي سيطرت علىٰ هذه الفقرة، نحو (عَرِّفْني ـ نُصَّ ـ ابسطْ ـ اشرحْ) لتبرز حالة الاكتئاب والضجر التي يعيشها ابن الدباغ جرَّاء انقطاع أخبار المرسل إليه

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٩٥.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٩٥.

بعد انتقال ابن الدباغ عنه إلىٰ بلدة أخرىٰ، وكأنما أراد أن يخفف بتلك الأفعال حدَّة الضجر الذي يتأجج في صدره.

أيضا برز أسلوب الأمر في قول ابن الدباغ: "دع عنك هذا التخلق وارجع إلىٰ أخلاقك، وعد في إطراقك، واجر مع الزمان إن رشداً فَرَشداً وإن غيًا فغيًا، وتجاهل ما قبلك جاهل، وتحامق مع الحمقىٰ فإنك عاقل"(١)، جاءت هذه الفقرة ضمن رسالة وجهها ابن الدباغ لأحد أصدقائه جرَّاء ما ظهر منه من التعالي؛ حيث بدأ رسالته بقوله: "فمن أين حدث هذا التعالي، وما سبب هذا التغالي"(٢)، وتتجلىٰ أفعال الأمر بكثرة في هذه الفقرة نحو قوله (دعْ ـ ارجعْ ـ عدْ ـ اجرِ ـ تجاهلْ ـ تحامقْ)، وقد وجهها ابن الدباغ إلىٰ المرسل إليه علىٰ سبيل النصح والارشاد الممزوجان بالعتاب.

كذلك ظهر أسلوب الأمر في قول ابن الدباغ: "فإني كتبتُ علىٰ عجل، وعلىٰ غير مهل، وفي وقت لم أتمكن من بسط المقال، والجري فيه علىٰ عادة الاسترسال، فلا تجر بهذا ولا تقارض عنه، وتفرَّغْ للجواب وأطِلْ في الخطاب، واشرحْ كل ما جرىٰ بعدي من خبر"(٣)، هذه الفقرة ضمن رسالة "خاطب بها الوزير أبا محمد بن عبدون من سرقسطة"(٤)، وقد تجلىٰ فيها أسلوب الأمر واضحا؛ حيث جاء في ثلاثة مواضع، وهي قوله: (تفرَّغْ ـ أطلْ ـ اشْرحْ)، وقد أفاد الأمر هنا الالتماس، وهذا يبرز ما تكنه نفسه من تشوقها وانتظارها لمعرفة تلك الأخبار علىٰ أكمل حال ودون اقتضاب.

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٣٠٧.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٣٠٧.
(٣) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٣٠٣.
(٤) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٣٠٢.

وثمة موضع آخر برز فيه أسلوب الأمر، وذلك في قول ابن الدباغ: "فرِقْ الآن لأخيك رقة راحم، وابكِ عليه بدمع هام وساجم، وتقطَّعْ إشفاقًا، واستشعرْ انطباقًا، والبسْ عليه أغبر إن لم تلبس حدادًا، وألقِ للعزاء عنه وسادًا، واعجبْ لطول تلاعب الأيام بي، وتلونها، وتلويها في تركي مطرحًا بمنزلة ضياع"(١)، جاءت هذه الفقرة ضمن رسالة شرح فيها ابن الدباغ أسباب عزل (المقتدر بن هود) له، موضحا هول ما حدث له، وما وقع عليه من ظلم بيِّن، ويلاحظ علىٰ الفقرة السابقة هيمنة أسلوب الأمر الذي جاء متدفقا تدفق الدموع الحارة من عين الشجي؛ حيث برز في سبعة مواضع، وهي قوله: (رقّ ـ ابكِ ـ تقطعْ ـ استشعرْ ـ البسْ ـ ألقِ ـ اعجبْ)، وقد تجلت هذه الأفعال في صورة وجدانية مؤثرة حاملة لمعاني الاستعطاف والإشفاق علىٰ حاله.

يتضح مما سبق أن ابن الدباغ قد استخدم أسلوب الأمر استخداما وجدانيا موحيا ومؤثرا؛ حيث أخفي وراءه الكثير من المعاني الوجدانية التي منها الاستغاثة، والنصح والإرشاد الممزوجان بالعتاب، والالتماس، والاستعطاف والإشفاق.

ثانيا: أسلوب التقديم والتأخير، وتجلياته لدى ابن الدباغ:

لا شك أن أسلوب التقديم والتأخير له وقع في النفس، وتنشيط للذهن، ويحاول الأديب من خلاله تثبيت فكرة ما وتعزيزها، "وهو باب كثير الفوائد، جَمُّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يَفْتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويُفضىٰ بك إلىٰ لطيفةٍ"(٢)، فضلا عما يتركه في نفس المتلقي من التشويق لمعرفة المتأخر مبتدأ كان أم فاعلا أم غيره، وقد استخدمه ابن الدباغ بكثرة في رسائله، وقد جاء في عدة أشكال منها: تقديم

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٧٣.

(٢) دلائل الإعجاز ـ ص١٠٦.

المفعول به علىٰ الفاعل، وتقديم الجار والمجرور علىٰ الفاعل أو المفعول به، أو غير ذلك كما سيتضح.

فمن مواضع التقديم والتأخير قول ابن الدباغ: "علىٰ أنك لا تنسيه المعارفَ حالٌ، ولا يلهيه عن الجميل إقبالٌ"(١)، يخاطب ابن الدباغ أحد أحبابه بعد تقلده الوزراة، موجها إليه الخطاب بأسلوب التقديم والتأخير؛ حيث قدَّم المفعول به (المعارف) علىٰ الفاعل (حال)، كما قدَّم الجار والمجرور (عن الجميل) في الجملة الثانية علىٰ الفاعل (إقبال)، ولا يخفىٰ الدور الفعال الذي قام به أسلوب التقديم هنا؛ حيث حاول ابن الدباغ من خلال هذا التقديم لفت انتباه هذا الصديق إلىٰ مراده من السعي له في تحقيق بعض آماله من تقلد أحد المناصب المرموقة.

كما يتضح تقديم المفعول به علىٰ الفاعل في قوله: "ويُعجِزُ البيانَ حدُّه"(٢)، جاءت هذه الجملة ضمن إحدىٰ الرسائل التي كتبها ابن الدباغ إثر انتقاله إلىٰ ولاية جديدة، وقد شرح خلالها مدىٰ سعادته بهذا المكان الجديد، مُعدِّدًا ما يتصف به أمير تلك الولاية من البِر والإنعام والفضل ونحو ذلك من حميد الصفات، ثم ختم الرسالة بجملة (ويُعجِزُ البيانَ حدُّه)، مستخدما أسلوب التقديم؛ حيث قدَّم المفعول به (البيانَ) علىٰ الفاعل (حدُّه)، مؤكدا من خلاله عدم إمكانية حصر هذه الصفات الحسنة لكثرتها.

كذلك يبدو تقديم المفعول به علىٰ الفاعل في قول ابن الدباغ: "يومنا يومٌ تجهَّم محيَّاه ودمعتْ عيناه، وبرقعتْ شمسَه الغيومُ، ونثرتْ صباه لؤلؤها المنظوم، وملأ

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٨١.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٩٤.

الخافقين دخانُ دَجْنِهِ، وطبَّقَ بساطَ الأرضِ هَمَلَانُ جَفنِهِ"(١)، يصف ابن الدباغ في هذه الفقرة يومه بأنه يوم عبوس، غائم، ذو رياحين مسيلة للدموع، مستخدما أسلوب التقديم والتأخير؛ حيث قدَّم المفعول به علىٰ الفاعل في قوله (وبرقعتْ شمسَه الغيومُ، ونثرتْ صباه لؤلؤها المنظومُ، وملأ الخافقين دخانُ دَجْنِهِ، وطبَّقَ بساطَ الأرضِ هَمَلَانُ جَفنِهِ)، وقد أكد من خلاله الصفات المشمئزة لهذا اليوم، ولا يخفىٰ ما فعله التقديم والتأخير هنا من التشويق والإثارة.

كذلك من مواضع تقديم متعلقات الفاعل عليه قول ابن الدباغ: "وقد تأملتُ أيَّ الجهاتِ أنجي وأعضدُ، وعلىٰ أيِّ الملوكِ أعول وأعتمدُ، فلم تطبْ إلا علىٰ تلك الحضرةِ الرفيعةِ نفسي"(٢)، جاءت هذه الفقرة ضمن رسالة يخاطب فيها ابن الدباغ أمير قرطبة يستأذنه في الانتقال إليه، وقد عمد إلىٰ أسلوب التقديم والتأخير؛ حيث قدَّم متعلقات الفاعل عليه في قوله: (فلم تطبْ إلا علىٰ تلك الحضرةِ الرفيعةِ نفسي)؛ فأخر الفاعل (نفسي) مؤثرا تقديم الجار والمجرور (علىٰ تلك)، والبدل (الحضرة) والصفة (الرفيعة)، ولعل ابن الدباغ لجأ إلىٰ ذلك تأدبا مع الأمير وتقديرا لمكانته، واستمالة لنفسه.

ومن مواضع تقديم متعلقات المفعول به عليه قوله: "فسدَّتْ عليَّ من الراحةِ الأبوابَ، وقطعتْ بيني وبين الفرجِ الأسبابَ"(٣)، يتحدث هنا عن الفرقة التي حدثت بينه وبين أحد أصدقائه المقربين جرَّاء رحلة هذا الصديق وانتقاله إلىٰ بلد أخرىٰ، مبينا ما تركته تلك الفرقة في نفسه من حزن شديد؛ حيث كانت صحبته تهون عليه ما يلاقيه

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٣٠٤.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٩٢.
(٣) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٦١.

من مصائب الدهر، فلما حدثت تلك الفرقة سدَّت عليه أبوب الراحة وقطعت أسباب الفرج، وقد قدَّم الجار والمجرور (عليَّ، من الراحة) علىٰ المفعول به (الأبوابَ)، كما قدَّم الجار والمجرور والظرف (بيني، بين الفرج) علىٰ المفعول به (الأسبابَ) موضحا من خلال ذلك أثر تلك الفرقة علىٰ نفسه، والمعاناة التي لحقت به علىٰ إثرها.

أيضًا من المواضع التي يتجلىٰ فيها تقديم الجار والمجرور علىٰ المفعول به قوله: "فالجمالُ يُشخص لحسنِهِ طرفَه، والنسيمُ يهزُّ لأنفاسِهِ عطفَه"(١)، يصف ابن الدباغ هنا أحد الأيام ناعتا إياه بأبدع الصفات مشخصًا جمال هذا اليوم في صورة إنسان يُشخص عينيه لشدة حسنه، مصورا النسيم وهو يتمايل برقَّة وكأنه يتنفس، وقد استخدم أسلوب التقديم والتأخير؛ حيث قدَّم الجار والمجرور (لحسنه، لأنفاسه) علىٰ المفعول به (طرفه، عطفه)، وذلك للتأكيد علىٰ شدة جمال هذا اليوم، وحتىٰ لا يتبادر إلىٰ الذهن معنىٰ آخر مخالفا لما أراده، كأن يكون شخوص العينين لمرض أو نحوه، وليس لشدة جمال، كما أن اهتزاز الريح لا يكون دائما دليلا علىٰ اعتدال اليوم، بل ربما دل علىٰ أن ذلك اليوم يوم عاصف، فبادر بتقديم الجار والمجرور درءا لسوء الفهم.

كما قدَّم متعلقات المفعول به عليه في قوله: "أن يجعل لحالي إدالةً، ولعثرة جدي إقالةً، وأن يقيض لجمعِ الشملِ، ووصلِ الحبلِ، سببًا، ويقضي من عودةِ المجالسةِ وتجديدِ المؤانسةِ، أربًا، بمنِّه"(٢)، جاءت الفقرة السابقة في ختام رسالة أرسلها ابن الدباغ لأحد أصدقائه يشرح فيها حاله وما تنطوي عليه نفسه من حزن وألم ممض حلَّ

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٣٠٥.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٦١.

به إثر ارتحاله عنه، وفيها يدعو الله تعالىٰ أن يغير حاله لأحسن حال، وأن يزيل محنته، وأن يجمع شملهما، وأن تعود مجالستهما، وتتجدد مؤانستهما، وقد قدَّم متعلقات المفعول به عليه؛ حيث قدَّم الجار والمجرور (لحالي) علىٰ المفعول به (إدالة)، كما قدَّم الجار والمجرور والمضاف إليه (لعثرة جدي) علىٰ المفعول به (إقالة)، كذلك قدَّم الجار والمجرور والمضاف إليه، والمعطوف والمضاف إليه (لجمعِ الشملِ، ووصلِ الحبلِ) علىٰ المفعول به (سببا)، أيضا قدَّم الجار والمجرور والمضاف إليه، والمعطوف والمضاف إليه (من عودةِ المجالسةِ وتجديدِ المؤانسةِ) علىٰ المفعول به (أربا)، ولا يخفىٰ ما فعله التقديم هنا من لفت انتباه المتلقي إلىٰ ما تكنه نفس ابن الدباغ من مشاعر وأحاسيس.

كذلك من مواضع تقديم متعلقات المفعول به عليه قوله: "وعسىٰ الأيام أن تجدد بتلك المعاهد عهدي، فأشفي بنسيمها وجدي، وأضع في برد ثراها خدي"(١)، جاءت هذه الفقرة ضمن رسالة كتبها لأحد أصدقائه بعد رحيله عنه وانتقاله إلىٰ ولاية أخرىٰ، وقد استعاد في هذه الرسالة أيام الوصل والمؤانسة بينه وبين صديقه مُعقِّبا علىٰ ذلك بهذه الفقرة، متمنيا رجوع تلك الأيام التي تجدد عهده، وتشفي وجده، وقد استخدم أسلوب التقديم؛ حيث قدَّم متعلقات المفعول به عليه وهي الجار والمجرور والبدل في قوله (بتلك المعاهد) علىٰ المفعول به (عهدي)، وكذلك تقديم الجار والمجرور (بنسيمها) علىٰ المفعول به (وجدي)، وأيضا تقديم الجار والمجرور والمضاف إليه (في برد ثراها) علىٰ المفعول به (خدي)، ولا شك أن هذا التقديم كان له أثره في النفس؛ حيث أبرز من خلاله منزلة تلك الأيام في قلبه، والأثر الطيب الذي تركته في نفسه.

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٣٠١.

أيضا من المواضع التي قدَّم فيها متعلقات المفعول به عليه في قوله: "وبودي لو ملكت عن هذه الشكوىٰ لساني"(١)، فقد قدَّم الجار والمجرور والمضاف إليه في قوله: (عن هذه الشكوىٰ) علىٰ المفعول به (لساني) مبينا من خلاله ما تنوء به نفسه من ألم دفين، وحزن عميق.

ومن المواضع التي يتجلىٰ فيها تقديم الجار والمجرور علىٰ الفاعل إلىٰ جانب تقديم المفعول به علىٰ الفاعل قول ابن الدباغ: "حتىٰ كأنما أدار عليَّ المُدامَ مديرُها، وجاوبَ المثاني والمثالثَ زِيرُها"(٢)، يتحدث ابن الدباغ هنا عن وقع الكتاب المرسل إليه علىٰ نفسه مبينا أن له وقعا طيبا، مشبِّها ذلك بوقع المُدام علىٰ قلبه، وقد قدَّم المفعول به علىٰ الفاعل في الجملتين؛ حيث قدَّم (المُدامَ) علىٰ (مديرُها) في الجملة الأولىٰ، وكذلك قدَّم (المثاني، والمثالثَ) علىٰ (زيرُها) في الجملة الثانية، والتعجيل بذكر المفعول به هنا ينبئ عن مدىٰ حبِّ ابن الدباغ للمُدام ووقعها الطيب علىٰ نفسه، مما كان له أثره في تثبيت المعنىٰ المراد وهو الوقع الطيب للكتاب المرسل إليه.

كذلك يبدو أسلوب التقديم والتأخير في قوله: "طلع علينا هذا اليوم فكاد يمطر من الغضارةِ صحوُهُ، ويعشىٰ من الإنارةِ جوُّه، ويحيي الرميمَ اعتدالُهُ، ويصبي الحليمَ حسنُهُ وجمالُهُ"(٣)، يصف ابن الدباغ هنا شدة جمال هذا اليوم، مستعينا بأسلوب التقديم والتاخير، فقدَّم الجار والمجرور علىٰ الفاعل في قوله: (يمطر من الغضارة صحوُهُ)، وكذلك قوله: (يعشىٰ من الإنارةِ جوُّه)، كما قدَّم المفعول به علىٰ الفاعل في قوله: (يحيي الرميمَ اعتدالُه)، وأيضا قوله: (يصبي الحليمَ حسنُهُ وجمالُهُ)، وقد أراد

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٥٤.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٩٦.
(٣) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٣٠٥.

أن يؤكد من خلال هذا التقديم ما يحمله هذا اليوم من صفات بديعة؛ حيث الغضارة والإنارة والاعتدال والحُسن والجمال، فقدَّم هذه الصفات التي جاء بعضها في صيغة جار ومجرور نحو (من الغضارةِ، من الإنارةِ)، وبعضها الآخر في صيغة مفعول به نحو (الرميمَ، الحليمَ) للتأكيد علىٰ قوة تأثير هذا اليوم الذي كاد يُمطر صحوه من شدة غضارته، ويَعشىٰ جوُّه من قوة إنارته، بل كاد يبعث الروح في الأموات من شدة اعتداله، ويُعيد للحليم صباه من شدة حسنه وجماله.

كما قدَّم ابن الدباغ الظرف، وكذلك الجار والمجرور علىٰ خبر كان الناقصة، وذلك في قوله: "وقد كان شديدها عندي هينا، وصعبها علي لينا"(١)، يتحدث هنا عن خطوب الدهر ومصائبه، مستخدما أسلوب التقديم؛ حيث قدَّم أولا ظرف المكان (عندي) علىٰ خبر كان (هينا)، ثم قدَّم ثانيا الجار والمجرور (عليَّ) علىٰ خبر كان (ليِّنا)، وقد أثبت من خلال هذا التقديم إفراد نفسه بقوة تحمُّل هذه الخطوب، وتلك المصائب التي لا يكاد يحتملها غيره من شدتها وصعوبتها.

وبالتأمل فيما سبق يتبين ذيوع أسلوب التقديم والتأخير لدىٰ ابن الدباغ، مما يمكن اعتباره ظاهرة أسلوبية تركيبية تميزت بها معظم رسائله، وقد أتىٰ محمَّلا بالمعاني الوجدانية المؤثرة؛ كالتأكيد، ولفت انتباه المتلقي إلىٰ الشيء المتقدم، والتشويق وغيرها من المعاني التي أفادها أسلوب التقديم، مما أضفىٰ علىٰ رسائله شعرية وجمالا.

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٦١.

ثالثا: أسلوب "الحذف"(١)، وشيوعه في رسائل ابن الدباغ:

يعد أسلوب الحذف من أساليب الفصاحة والبلاغة التي تجعل الكلام أشد تأثيرا، وإن كان الأصل في الكلام هو الذكر فقد يلجأ الأديب إلىٰ أسلوب الحذف لدواعٍ بلاغية وجمالية كالإيجاز والاختصار، أو المبادرة بذكر الشيء، أو التعميم أو نحو ذلك، ولا يخفىٰ أثر ذلك في النفس؛ حيث يضفي علىٰ الكلام تشويقا وإثارة، و"من شروط الفصاحة والبلاغة الإيجاز والاختصار وحذف فضول الكلام حتىٰ يعبر عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة"(٢)، والمتأمل في رسائل ابن الدباغ يجده قد لجأ إلىٰ أسلوب الحذف في بعض المواضع، ومن ذلك حذف المبتدأ، وخاصة في مستهل رسائله، ومن ذلك قوله في مستهل إحدىٰ رسائله: "كتابي عما عهدته من قعود الأيام بجانبي واعتراضها علي في وجوه قصدي"(٣)، ومثله قوله في مفتتح رسالته: "كتابي والحال في الخمول كما علمت، والجد في الشقاوة كما عهدت"(٤)، وكذلك قوله في بدء رسالته: "كتابي وقد لقيتُ من التعذر في الدنيا ما صحح منها اليأس، وأراح من وسواس الترجي للنفس"(٥)، كما يتجلىٰ أسلوب الحذف في مستهل رسالته التي يقول فيها: "كتابي من قرطبة، وقد وردتها بحمد الله علىٰ رحب وسعة، وأخلدتُ منها

(١) "الحذف: هو إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل" البرهان في علوم القرآن ـ الزركشي ـ ت/ أبو الفضل الدمياطي ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ د.ط ـ ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م ـ ص٦٨٥.

(٢) سر الفصاحة ـ ابن سنان الحلبي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ـ ص٢٠٥.

(٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٦١.

(٤) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٦١، وما بعدها.

(٥) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٦٥.

إلىٰ سكون ودعة"[١]، فقد افتتح ابن الدباغ رسائله السابقة بذكر الخبر (كتابي)، وحذف المبتدأ والتقدير (هذا كتابي)، وذلك للاختصار والإيجاز، والمبادرة بذكر هذا الكتاب.

كما يظهر حذف المفعول به بكثرة في معظم رسائل ابن الدباغ، ومن ذلك قوله: "ولا أُطوّل عليكَ فقد غيَّر عليَّ حتىٰ شرابي، وأوحشني حتىٰ ثيابي"[٢]، يتحدث ابن الدباغ في هذه الرسالة عن عداوة الدهر له معدِّدا بعض المكاره التي لقيها منه، ويتجلىٰ أسلوب الحذف في قوله: (غيَّر عليَّ حتىٰ شرابي، وأوحشني حتىٰ ثيابي)، حيث حذف المفعول به في الجملة الأولىٰ، والتقدير (غيَّر علي طعمَ كلِّ شيء حتىٰ شرابي)، كما حذف متعلقات الفعل في الجملة الثانية، والتقدير (وأوحشني من كلِّ شيء حتىٰ ثيابي)، والحذف هنا يفيد التعميم، وهذا ما قصده ابن الدباغ؛ حيث جسَّد من خلال هذا الحذف معاناته مع الدهر، وعداوة الدهر المستمرة له التي أفسدت عليه حياته كلها، وجعلته لا يذوق طعم أي شيء حتىٰ شرابه، بل جعلته يشعر بالوحشة وعدم الاستئناس من كل شيء حتىٰ ثيابه التي تستره.

ومن مواضع حذف المفعول به أيضا قول ابن الدباغ: "ولو استطعتُ أن أطوي عنك أحوالي، ولا أشغل بالك بأوجالي، لرفهتك عن سماع ما يجلب إليك ارتماضًا، ولا تملك لي فيه امتعاضًا، ولكن أعوز الصبرُ، وأعجز احتمالُ الضر"[٣]، هذه الرسالة أرسلها ابن الدباغ لأحد أصدقائه يشكو إليه سوء حاله في محاولة للتخفيف من آلامه وأحزانه، ويظهر الحذف في قوله: (أعوز الصبرُ، وأعجز احتمالُ الضر) حيث حذف

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٩٣.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٥٧.
(٣) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٦٢.

ابن الدباغ المفعول به في كلا الجملتين، والتقدير (أعوزني الصبر، وأعجزني احتمال الضر)، ويبدو أنه حذف المفعول به هنا كراهية إسناد العوز، والعجز إلىٰ نفسه.

كذلك يتجلىٰ حذف المفعول به في قول ابن الدباغ: "وقد خلعتُ عني ذلَّ الطمع، ولبستُ عزَّ التوكل وسلمتُ إلىٰ من له الأمر، وبيده النفعُ والضُّرُّ، وإليه العطاءُ والمنعُ"(١)، تسفر هذه الفقرة عن توكل ابن الدباغ علىٰ الله وتفويض الأمر إليه، ويتجلىٰ حذف المفعول به في قوله: (وسلمتُ إلىٰ من له الأمر)، حيث حذف مفعول (سلَّم) والتقدير (سلمتُ أمري)، والحذف هنا للإيجاز والاختصار حيث دلت عليه كلمة (الأمر) المذكورة بعده.

كما يلوح حذف المفعول به في قول ابن الدباغ: "ووقفتُ علىٰ كتابكَ فلم أستغربْ تجنيكَ، ولا أنكرتُ تعدِّيكَ، أن تكون في جملة من يُعيِّر ويُكلِّم، ويَسخط، ويَذُم"(٢)، جاءت هذه الفقرة ضمن رسالة يردُّ فيها ابن الدباغ علىٰ أحد الأشخاص الذين تعدَّوا عليه بالكلام، ووجهوا إليه بعض الإساءة، ويلاحظ هنا حذف المفعول به من الأفعال (يُعيِّر ويُكلِّم، ويَسخط، ويَذُم)، والحذف هنا يفيد التعميم، ولعل ما ألجأ ابن الدباغ إلىٰ الاكتفاء بذكر الأفعال وحدها هو بيان وقع هذه الأفعال علىٰ نفسه أيًّا كان المفعول به فهو لا يهمه يُعيّر بماذا، أو يكلّم بماذا، أو الشيء الذي يذمه به، وإنما ما أحزنه هو صدور تلك الأفعال من ذلك الشخص، وهذا يعكس ألمه الدفين علىٰ ما آل إليه حاله من الهوان والخزي، بعد ما كان عليه من علو الشأن والرفعة.

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٦٦.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه جـ١ ـ ص٢٦٣.

أيضا من مواضع حذف المفعول به قول ابن الدباغ: "فاشتد حنقه علىٰ الخوالف، وعمَّ سخطه جميع الطوائف، ونذر إذا قفل أن يصنع بهم ويفعل"(١)، يسترجع ابن الدباغ هنا في إحدىٰ رسائله توعد (المقتدر بن هود) للخوالف الذين لم يخرجوا معه في إحدىٰ غزواته والحذف هنا للتهويل، ولا يخفىٰ ما يطويه الحذف من التهديد والوعيد.

وثمة موضع آخر يتجلىٰ فيه حذف المفعول به، وهو قول ابن الدباغ: "وقد آلم وساء، وبلغ الباغي في النكاية ما شاء"(٢)، يتحدث ابن الدباغ هنا عن الوشايات التي كانت سببا في الجفوة التي حدثت بينه وبين (المقتدر)، ويلاحظ حذف المفعول في قوله (آلمَ، وساءَ)، والتقدير (آلمني، وساءني)، ولعله لجأ إلىٰ الحذف كراهية إسناد الألم والإساءة إلىٰ نفسه، كما يمكن أن يفيد الحذف هنا التعميم، فيكون صوَّر من خلاله فظاعة تلك الوشايات التي آلمت وأساءت كل من يسمعها.

أيضا يتضح حذف متعلقات الفعل في بعض المواضع، ومنها قول ابن الدباغ: "ما عسىٰ أن أكتبُ وقد أطلتُ في القول حتىٰ أمللتُ، وأكثرتُ من التشكي حتىٰ أضجَرْتُ، ولو شئتُ أن أقول لما أسعدت نفس قد هدَّمتها الهموم فما تقدر"(٣)، ويظهر الحذف في قوله (فما تقدر) والتقدير (فما تقدر علىٰ فعل أي شيء)، والحذف هنا أفاد التعميم، وقد جسَّد ابن الدباغ من خلال هذا الحذف سلب القدرة منه بالكلية قليلها وكثيرها، وهذا ينبئ عن حالة اليأس والضعف المسيطرة عليه.

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٧١.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٧٦.
(٣) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٦٨.

وهكذا يتضح مما سبق تجلي أسلوب الحذف بكثرة في رسائل ابن الدباغ حتىٰ أصبح ظاهرة أسلوبية تركيبية تميزت بها معظم رسائله، ولا شك أن أسلوب الحذف هنا كان أبلغ من الذكر، حيث وفَّىٰ بالغرض ونقله إلىٰ المتلقي علىٰ أكمل وجه، مما أضفىٰ علىٰ الكلام شعرية وجمالا، وساعد في تنشيط ذهن السامع، فضلا عن كسر الرتابة والملل.

رابعا: أسلوب "الترادف"[1]، وتجلياته في رسائل ابن الدباغ:

يعد الترادف وسيلة من وسائل الإخبار عما تكنه النفس من مشاعر وأحاسيس في صورة أكثر توضيحا وتفسيرا؛ حيث تعطي المعانىٰ بأكثر من لفظ، وهذا يؤكد مقدرة الأديب علىٰ التوسع في استخدام الألفاظ، وثراء معجمه اللغوي، فالترادف له دور كبير في "التوسع في سلوك طرق الفصاحة وأساليب البلاغة في النظم والنثر، وذلك لأن اللفظ الواحد قد يتأتىٰ باستعماله مع لفظ آخر السجع والقافية والتجنيس والترصيع وغير ذلك من أصناف البديع، ولا يتأتىٰ ذلك باستعمال مرادفه مع ذلك اللفظ".(٢)

وقد ظهر أسلوب الترادف جليا في رسائل ابن الدباغ حيث استخدمه لتأكيد الفكرة وتثبيتها، والأصل أن الأديب لا يلجأ إلىٰ توكيد الكلام إلا إذا أحسَّ بتشكُّك المخاطب فيما يلقىٰ إليه من كلام، ورغم أن المخاطب لم يشك في كلام ابن الدباغ، فقد استخدم أسلوب الترادف الذي يمثل نوعا من توكيد الكلام، متخطيا بذلك

(١) "الترادف عبارة عن الاتحاد في المفهوم، وقيل هو توالي الألفاظ المفردة الدالة علىٰ شيء واحد باعتبار واحد" التعريفات ـ علي بن محمد الشريف الجرجاني ـ مكتبة لبنان ـ بيروت ـ د.ط ـ ١٩٨٥م ـ ص٥٩.

(٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ـ جلال الدين السيوطي ـ شرحه وضبطه/ محمد أحمد جاد المولىٰ وآخرون ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ د.ط ـ ١٩٨٦م ـ جـ١ ـ ص٤٠٦.

توقعات المخاطب، مشكلا انزياحا تعبيريا لجأ إليه لتجسيد معاناته ومضاعفة المشاركة الوجدانية بينه وبين المتلقي.

ومن المواضع التي يتجلىٰ فيها أسلوب الترادف عنده، قوله: "أوحش بأيام أقطعها وأفنيها، وأثواب عيش أخلقها وأبليها"(١)؛ حيث تتجلىٰ هنا معانٍ متحدة تفصح عنها ألفاظ مختلفة نحو قوله (أقطعها، وأفنيها) فكلاهما بمعنىٰ واحد، وكذلك قوله (أخلقها، وأبليها) لهما المعنىٰ نفسه، وقد ساعد الترادف هنا علىٰ إظهار مشاعر اليأس والإحباط التي تنطوي عليها نفس ابن الدباغ.

كذلك من المواضع التي برز خلالها أسلوب الترادف، قول ابن الدباغ: "كلما رُمتُ وجهة فأتيتُها من أقْصَد مذهبٍ، وتناولتها بألطف مَرغبٍ، حتىٰ تخيل لي أن أبيَّها قد أسمح، وحميد السعي فيها قد أنجح، رجعتُ عنها صفرَ الوطابِ، وحصلتُ علىٰ رقراقِ السّرابِ، وكان المستعجلُ منها أبطأ وأعصىٰ، والمستقرَبُ أبعد وأنأىٰ"(٢)، يتحدث ابن الدباغ هنا عن سوء حظه رغم اجتهاده وسعيه، وقد استعان بأسلوب الترادف الذي ظهر في قوله: (أبطأ وأعصىٰ)، وقوله:(أبعد وأنأىٰ)، وقد أكد من خلاله عدم توفيقه، وفشله في الحصول علىٰ مراده.

أيضًا من المواضع التي تجلىٰ خلالها أسلوب الترادف، قول ابن الدباغ: "مع فرط تحرزي وانقباضي، وتناهي تذللي وانخفاضي، وما جبلتُ عليه من سكون الطائر، وغض الناظر، وخَزْن اللسان، ومهابة السلطان، في السر والإعلان، وإذا فكرت في ذلك لم أستغربه، لما علمتُ من شقائي في جَدِّي، وسوء أثر الزمان عندي، ففي مولدي أن تقسوَ علي قلوبٌ أستلينها وأستلطفها، وتُعرِضَ عني جوانبُ أستميلها

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٥٤.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٦٨.

وأستعطفها"[١]، جاءت هذه الفقرة ضمن رسالة كتبها ابن الدباغ ليشرح فيها قصته مع (المقتدر)، وقد بناها علىٰ أسلوب الترادف؛ حيث بسط فيها معانيه وكررها من خلال ألفاظ متغايرة، كقوله: (تحرزي، وانقباضي)، فكلاهما يعطي معنىٰ الحذر، وقوله: (تذللي، وانخفاضي)، كلاهما بمعنىٰ الخضوع والتواضع، وكذلك قوله: (أستلينها وأستلطفها)، وقوله: (أستميلها، وأستعطفها)، جميعهم يحمل معنىٰ التودد، وقد اتخذ ابن الدباغ من أسلوب الترادف متنفسا أسهب من خلاله في شرح حاله مع (المقتدر) ومعاملته السيئة له والإعراض عنه، رغم ما يتصف به من الأمانة وحفظ الأسرار، والتواضع ولين الجانب.

يتبدى مما سبق الدور الفعال الذي قام به أسلوب الترادف من تأكيد المعاني، وترسيخها في ذهن المتلقي مما كان له أثره في تعميق المشاركة الوجدانية.

والمتأمل في أساليب ابن الدباغ يرىٰ كيف وفق في استخدام أشكال عديدة من الانزياحات التركيبية، مما شكَّل عدة ظواهر أسلوبية تميزت بها معظم رسائله علىٰ المستوىٰ التركيبي، كالأساليب الإنشائية المستخدمة لأغراض دلالية مختلفة، وأسلوب التقديم والتأخير، والحذف، وغير ذلك مما كان له أثره في جذب انتباه السامع وتنشيط ذهنه؛ حيث ساعد في خروج الكلام عن المألوف والمعتاد، مما أضفىٰ علىٰ الأسلوب شعرية وجمالا وتأكيدا للمعاني التي يريد إيصالها للمتلقي.

ولم يقتصر ابن الدباغ في رسائله علىٰ الأساليب التركيبية فقط، وإنما شاركتها عدة أساليب أخرىٰ لا تقل أهمية عنها في إضفاء الشعرية والجمال علىٰ رسائله وتقريبها من طبيعة الشعر، كالأساليب الصوتية التي تساعد في إثراء الإيقاع، وسوف يتضح ذلك بالتفصيل في المبحث القادم بإذن الله تعالىٰ.

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٧٠.

المبحث الثاني: أسلوبية الإيقاع الصوتي وأنساقه الجمالية

يتشكَّل الإيقاع لدىٰ الأديب من خلال اختياره بعض الأساليب الصوتية التي تساعد في إحداث تناغم صوتي يجذب انتباه المتلقي، ومن ذلك أسلوب التكرار، والجناس، والطباق، والسجع، والتوازي، ونحو ذلك، وقد استعان ابن الدباغ بهذه الأساليب لإثراء التناغم الصوتي لديه، ولتنبيه المتلقي إلىٰ بعض الدلالات التي قصد إيصالها إليه بشكل غير مباشر، ولْنَرَ مدىٰ توفيق ابن الدباغ في ذلك.

أولا: أسلوب "التكرار"[1]، وأنساقه الجمالية:

التكرار وسيلة من الوسائل التي ينبه الأديب من خلالها المتلقي لغاية دلالية أراد إيصالها له؛ حيث يستطيع التكرار تأدية رسالة دلالية ضمنية غير مباشرة، فضلا عن قيمته في إثراء النص بالتناغم الصوتي الجذاب، وبالنظرة المتأنية في رسائل ابن الدباغ يلاحظ ثراء أسلوبه بظاهرة التكرار وتنوع أشكاله، وقد اتخذ عدة أنواع كما سيتضح.

أ ـ تكرار الحروف:

من المعروف أن الحرف هو أصغر وحدة صوتية، ولا شك أن تكرار الحرف يزيد من التنغيم ويقويه، وهذا التكرار يحمل في طياته إيحاءات نفسية قصدها الأديب، ومن ينعم النظر في رسائل ابن الدباغ يجده قد عمد إلىٰ تكرار بعض الحروف بصورة كبيرة، كما يوضحه الجدولان الآتيان:

أولا: جدول يوضح عدد تواتر حروف الجهر في رسائل ابن الدباغ:

م	الحرف	عدد تواتره
١.	الألف	٦٤٣٩
٢.	الباء	١٥٣٨
٣.	الجيم	٥٥٦

(١) "التكرار: عبارة عن الإتيان بشيء مرة بعد أخرىٰ" التعريفات ـ ص٦٨.

م	الحرف	عدد تواتره
٤.	الدال	١٠٤٧
٥.	الذال	٣٩٧
٦.	الراء	١٥١٤
٧.	الزاي	٢٢٨
٨.	الضاء	٢٩٨
٩.	الطاء	٣٩١
١٠.	الظاء	١٠٠
١١.	العين	١٣٨٢
١٢.	الغين	٢٤٩
١٣.	القاف	٧٤٧
١٤.	اللام	٤١٢٤
١٥.	الميم	٢٢٩٢
١٦.	النون	٢٢١٦
١٧.	الواو	٢٥٦٥
١٨.	الياء	٢٤٧٤
المجموع		٣٠٨٠٧

ثانيا: جدول يوضح عدد تواتر حروف الهمس في رسائل ابن الدباغ:

م	الحرف	عدد تواتره
١.	السين	٨٤٧
٢.	الكاف	١١٣٢
٣.	التاء	٢٠٤٥
٤.	الفاء	١٢٢٦
٥.	الحاء	٦٧٩
٦.	الثاء	١٨٥

م	الحرف	عدد تواتره
.٧	الهاء	١٥٠٠
.٨	الشين	٣٤٨
.٩	الخاء	٢٩٢
.١٠	الصاد	٣٢٤
	المجموع	٨٥٧٨

يلاحظ من خلال الجدولين السابقين الاستخدام المكثف للأصوات المجهورة؛ حيث تواترت هذه الأصوات ثلاثون ألفا وثمانمائة وسبع مرة، بينما تواترت الأصوات المهموسة ثمانية ألفا وخمسمائة وثمان وسبعين مرة فقط، **ولعل ذلك يرجع إلى عدة أمور، منها ما يأتي:**

١ـ إرادة ابن الدباغ إظهار قوة تحمله وعدم اكتراثه بنوائب الدهر، فأكثر من استخدام حروف الجهر علىٰ حساب حروف الهمس، فتجده في كثير من المواضع يتحدث عن قوة احتماله، وتماسكه أمام نوائب الدهر، كما في قوله: "وأنا كما تدريه، غرض للأيام ترميه، ولكني غير شاك من آلامها، لأن قلبي في أغشية من سهامها، فالنصل علىٰ مثله يقع، والتألم مع هذه الحال يرتفع وكذلك التقريع إذا تتابع هان، والخطب إذا أفرط في الشدة لان، والحوادث تنعكس إلىٰ أضداد، إذا تناهت في الاشتداد، وتزايدت علىٰ الآماد"(١)، فكثرة رمي الأيام له بالخطوب والمحن جعلته أشد قوة وأكثر احتمالا لها، بل إن كثرة تكرار هذه الخطوب أفقدتها شدتها وجعلتها هينة لينة لا يُشتكىٰ منها، وقد ضمت الفقرة السابقة مائتين وستة حرفا، جاء سبعة وأربعون حرفا منها مهموسا، بينما جاء مائة وتسعة وخمسون حرفا مجهورا، وقد

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٥٦.

اتخذ ابن الدباغ من قوة الحروف المجهورة هنا بيانا لقوته وشدته أمام تتابع المحن والخطوب عليه.

كما أفصح ابن الدباغ عن قوته وثباته أمام النوائب والمحن في قوله: "ولا تعجبْ إلا لثبوتي لما لا يَثبُتُ عليه الحَلَقُ السردُ، وبقائي علىٰ ما لا يبقىٰ عليه الحجرُ الصلدُ"(١)، فقد أصبح ـ من شدة قوته وثباته أمام ما حلَّ به من محن ـ مثالا يثير العجب، ويلاحظ هنا أنه لم يستخدم حروف الهمس سوىٰ تسعة أحرف فقط من إجمالي سبعين حرفا، التي هي مجموع أحرف هذه الفقرة.

كذلك وضح ابن الدباغ تماسكه وثباته في قوله: "وما زلتُ أثبتُ لتوالي الرمي، وأستمسكُ علىٰ قوةِ الرزءِ"(٢)، فهذا القول يوضح مدىٰ قوته وتماسكه رغم توالي الرمي وقوة الرزء، ولم يلجأ إلىٰ استخدام أصوات الهمس سوىٰ ثمانية أحرف فقط من إجمالي تسعة وثلاثين حرفا.

أيضًا من المواضع التي بينت قوة احتمال ابن الدباغ وصبره علىٰ ما لا يُحتمل قوله: "ولم أزل أصبرُ من ذلك كله علىٰ ما يُشيبُ رأسَ الوليد، ويُذيبُ الحديد، ويهدُّ الرواسي هدًا، ويُحدث للجمادِ غيظًا ووجدًا"(٣)، وقد استخدم هنا ثلاثة عشر حرفا مهموسا فقط، بينما استخدم ثمانية وستين حرفا مجهورا؛ ليدلل من خلال ذلك علىٰ قوته وقدرته علىٰ احتمال ما يلاقيه من محن مهما بلغت قوتها.

٢ـ قوة إيمانه وثقته بالله ـ عز وجل ـ فرغم تأكده من ترصد حسَّاده وأعدائه له لإيقاعه في المكاره بيد أن قوة إيمانه وثقته بربه كانت دائما تطمئن قلبه وتجعله علىٰ

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٥٧.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٥٩.
(٣) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٧٧.

يقين بأن الله سيكفيه مكرهم مهما حاولوا إلحاق الضرر به، كما يتضح من قوله: "لا تتوهموا أن تكيدوني بكيد، ولو تأيَّدتم عليه بأشد أيْد، فقد استدفعتُ برب الناس غامضَ شركم، وتعوذتُ برب الفلق من نافث عقدكم، والله ولي الكفاية بفضله"(١)، يلاحظ هنا غلبة حروف الجهر علىٰ حروف الهمس؛ حيث ظهرت في ثلاثة وثمانين موضعا، في حين ظهرت حروف الهمس في ثلاثين موضعا فقط، وقد صوَّر من خلال قوة هذه الحروف قوة إيمانه وثقته بربه عز وجل.

٣ـ شجاعته في مواجهة حساده وأعدائه، كما يظهر من قوله: "ولكني واثقٌ بأن يحيق بكَ سيء مكرك، فتذوقَ وبالِ أمرك وتحصدَ زرائعَ شرِّك، وتصلىٰ بنارِ بغيِك، وتجني ثمارَ سعيك، والله مُقرِّبُ ذلك فيك ومدنِيه منك"(٢)، يخاطب ابن الدباغ هنا أحد الكائدين له الذين تسببوا بوشايتهم في إحداث الوقيعة بينه وبين الأمير، وقد واجهه هنا بكل شجاعة معلنا ثقته بالله عز وجل في اقتصاصه منه، وإحاقة مكره به، كما وعد سبحانه في قوله: ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [سورة فاطر:٤٣].

ويلاحظ هنا طغيان حروف الجهر علىٰ حروف الهمس لاستدعاء المقام ذلك؛ حيث تناسبت حروف الجهر بما تحمله من قوة مع قوة المواجهة بين ابن الدباغ وأعدائه، فترىٰ حروف الهمس قد ظهرت سبعا وعشرين مرة فقط، بينما تجلت حروف الجهر في أربعة وسبعين صوتا.

كما ظهرت شجاعته في مواجهة أعدائه في قوله: "لكل زمان طاغية يُشقىٰ به ويُعبأ له، وربما خَصَّ بتسلطه، وانقبض في تبسطيه، ولم يصْلَ بضرامه، إلا من ضايق في خطامه، فهذا المعهود، ولا كمن جمعنا به عصر، وضمنا معه مصر، فإنه جاهر الكل

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٨٣، وما بعدها.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٦٠.

بالقلي، ودعا إلىٰ مكروهه الجَفَلىٰ، وامتحنتُ أنا منه وممن معه بأشد محنة، وأسلمتُ لأسنتهم وسهامهم بلا جُنَّة"(١)، فإنه هنا يكشف عن هذا العدو الذي امتُحن منه بأشد محنة بكل جرأة وشجاعة، متخذا من حروف الجهر وسيلة للإفصاح عن مراده بقوة وثبات؛ حيث برزت حروف الهمس في تسع وأربعين موضعا فقط، في حين ظهرت حروف الجهر في مائة وستين موضعا.

٤ـ محاولة دفاعه عن نفسه، مستخدما من حروف الجهر وسيلة لبيان قوة موقفه، كما يتضح من قوله: "ولا ذنب لي إلا كفُّ الأذىٰ من لساني، ومسالمة الورىٰ في سري وإعلاني"(٢)، يشرح في هذه الرسالة قصته مع (المقتدر)، موضحا ما تعرَّض له من قِبل أعدائه من مكر وتدبير أدىٰ إلىٰ الوقيعة بينه وبين الأمير، وهو هنا يدافع عن نفسه مبينا براءته من كل ما نسب إليه، مفصحا أن ذنبه الوحيد هو كفه الأذىٰ من لسانه، ومسالمة الخلق في سره وإعلانه، وقد استعان بأصوات الجهر مدافعا بها عن نفسه في قوة وشجاعة رغم ما تطويه نفسه من ألم دفين؛ حيث تواترت حروف الجهر اثنتين وأربعين مرة، بينما وردت حروف الهمس سبع مرات فقط.

٥ـ بيان ما توفر له من بعض أسباب السرور والبهجة مما يرفع من حالته النفسية فينعكس ذلك علىٰ اختياره للأصوات المجهورة، ولعل من هذه الأسباب:

أ ـ انتقاله إلىٰ مكان جديد تقلَّد فيه منصبا مرموقا، كقوله في إحدىٰ رسائله التي كتبها إثر انتقاله إلىٰ قرطبة: "كتابي من قرطبة، وقد وردتُها بحمد الله علىٰ رحبٍ وَسَعَةٍ، وأخلدتُ منها إلىٰ سكونٍ ودعةٍ، وذهبتْ بحمد الله تلك الحيرةُ، وانجلتْ تلك

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٦٢.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٧٣.

الغمرةُ، واستقالَ الجدُّ من عثاره، ولاحَ قمرُ السعدِ بعد سِرارِهِ"(١)، فهنا يفصح ابن الدباغ عن بهجته وسروره بانتقاله إلىٰ قرطبة، هذا المكان الجديد الذي يبدو أنه تحققت فيه بعض آماله كتقلده أحد المناصب المرموقة، وقد انعكست سعادته هذه علىٰ اختيار أصواته، مما دعاه إلىٰ إيثار الأصوات المجهورة علىٰ غيرها لمناسبتها للمقام، فتجد طغيان أصوات الجهر علىٰ غيرها؛ حيث بلغت ثمانية وتسعين صوتا، بينما تقلصت أصوات الهمس إلىٰ ستة وثلاثين صوتا فقط.

ومن ذلك أيضا قوله في إحدىٰ رسائله: "كتبتُ وقد أدالَ اللهُ من تلك الديارِ الموحشةِ بضدها، وأراحَ من مواطنِ الهونِ بفقدها، ونقلَ بفضلِهِ إلىٰ حيثُ البرُّ باهر، والإنعامُ غامر، والفضلُ في النقص آمر، والنبلُ علىٰ الجهلِ ظاهر"(٢)، كتب ابن الدباغ هذه الرسالة أيضا إثر انتقاله إلىٰ قرطبة، وهو يشرح فيها فرط سعادته ورضاه عن هذا المكان الجديد مقارنا بينه وبين البلد التي انتقل منها، مبينا فضل أميرها، مادحا له بأعظم الصفات، وقد أكثر هنا من أصوات الجهر لمناسبتها لمقام المدح؛ حيث بلغت ثمانية وتسعين صوتا، بينما لم تتعد الأصوات المهموسة الاثنين وعشرين صوتا.

ب ـ وقد يكون من أسباب توفر السعادة لديه ورود بعض الأخبار السارة إليه من أحد إخوانه كقوله: "وقفتُ علىٰ كتاب من لدنك قد اشتمل علىٰ كل برّ وحَفاية، وإشفاقٍ ورثاية، وتسليةٍ تُذهلُ عن سوءِ الحالِ، وتعدُ علىٰ الأيام بضمان إقبال، فذهب مُسْتَودَعُهُ بغمةِ النفسِ، وأدال من الوحشةِ بالأنسِ، وغلبَ الرجاءَ علىٰ اليأسِ"(٣)،

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٩٣.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٩٤.
(٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٩٥.

فقد كتب ابن الدباغ هذه الرسالة ردا علىٰ رسالة أرسلت إليه من أحد أصدقائه المقربين تحمل بعض الأخبار السارة، فأجاب عنها بما ينبئ عن عظيم سروره وسعادته بهذه الأخبار، ويلاحظ هنا غلبة الأصوات المجهورة علىٰ غيرها لمناسبتها للمقام؛ حيث بلغت الأصوات المجهورة أربعة عشر ومائة صوتا، بينما انحصرت الأصوات المهموسة في أربعة وثلاثين صوتا فقط.

جـ ـ كذلك يمكن أن يكون من أسباب توفر السعادة لديه نيل بعض أحبابه منصبا مرموقا مما يمكن أن يفتح له باب الأمل في الوصول إلىٰ مرامه، وبيان أثر ذلك علىٰ نفسه كما في رسالته التي يقول فيها: "قلتُ لنفسي: بشراكِ، أسعفكِ الدهرُ بمناك، وسرَّك في بعض أعزتكِ وأرضاكِ، الآن آن للنحوسِ أن تُدبرَ عنكِ إدبارَ المنهزمِ، وللنوائبِ أن تحذرَ منك سطوةَ المنتقم"(١)، يبدو أن ابن الدباغ كتب هذه الرسالة لتهنئة أحد الوزراء المحببين إليه بما وصل إليه من منصب مرموق، مما أتاح له بارقة أمل، وقد استعان بالأصوات المجهورة للتعبير عن سروره وفرط سعادته بسماع خبر تقلده الوزارة؛ حيث برزت حروف الجهر أربعا وثمانين مرة، في حين انحصرت حروف الهمس في خمسة وعشرين موضعا فقط.

وهذه إحدىٰ رسائل ابن الدباغ التي تعد نموذجا تطبيقيا للتأكيد علىٰ فطنته ودقة اختياره لحروفه وألفاظه التي يُجسد بها ما يستكن في نفسه، حيث يقول فيها: "لكل زمان طاغية يشقىٰ به ويعبأ له، وربما خص بتسلطه، وانقبض في تبسُّطه، ولم يصلَ بضَرامِهِ، إلا من ضايق في خِطامِهِ، فهذا المعهود، ولا كمن جمعنا به عَصْر، وضمَّنا معه مِصْر، فانه جاهرَ الكلَّ بالقِلي، ودعا إلىٰ مكروهه الجَفَلىٰ، وامتحنتُ أنا منه وممن

(١)الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٨١.

معه بأشد محنة، وأسلمتُ لأسنتهم وسهامهم بلا جُنة، فمن أيدٍ تستبيحُ الحِمىٰ، وألسنة تنطق بالخنا، ومن سطوات تملأ عراص القلب رُعْبًا، وتُرسل أدمع العين سكبًا، ولو استطعت أن أطوي عنك أحوالي، ولا أشغل بالك بأوجالي، لرفَّهتك عن سماع ما يجلب إليك ارتماضًا، ولا تملك لي فيه امتعاضًا، ولكن أعوز الصبر، وأعجز احتمال الضر، فاسترحتُ استراحة واجدٍ كاظم، وتعللتُ بالشكوىٰ إلىٰ متوجع واجم، علىٰ ما قيل:

ولا بد من شكوىٰ إلىٰ ذي حفيظةٍ يواسيك أو يُسليكَ أو يتوجَّعُ[(١)]، واشتمل كتابك الكريم علىٰ ما استحييت منه، وغضضتُ طرفي عنه، وأوهمني أن شكواي أثارته، وربما انحفزتَ فيما الحالُ بذاتها مُعربة عن التعذر، فأنظر الأمر إناهُ، وأجره علىٰ مجراه، وليس إلا التفويض إليك، والتوكل عليك، وما عندي أكثر من أن نفسي في يديك، فلا تكلني إلىٰ رأيي فأحار، ولا تخيِّرني فلستُ أُحسن أن أختار"[(٢)]، وبتتبع الأصوات المتكررة، في هذه الرسالة وأثرها علىٰ المعنىٰ يتضح أن ابن الدباغ قد عمد إلىٰ تكرار بعض الأصوات بصورة كبيرة، كما يوضحه الجداول الآتية:

أولا: جدول يوضح عدد تواتر الأصوات الصائتة:

م	الحرف	عدد تواتره
١	الألف	٩٣
٢	الواو	١٤
٣	الياء	٣٦

(١) ديوان بشار بن برد ـ ت/ محمد الطاهر بن عاشور ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ د.ط ـ ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م ـ ص١٠٠.

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٦٢، وما بعدها.

ثانيا: جدول يوضح عدد تواتر حروف الجهر:

م	الحرف	عدد تواتره
١	الألف	٣٣
٢	الباء	٢٦
٣	الجيم	١٣
٤	الدال	٩
٥	الذال	٤
٦	الراء	٣٠
٧	الزاي	٤
٨	الضاء	١٠
٩	الطاء	٩
١٠	الظاء	٣
١١	العين	٣٠
١٢	الغين	٣
١٣	القاف	٧
١٤	اللام	٢٧
١٥	الميم	٥١
١٦	النون	٤١
١٧	الواو	٣٧
١٨	الياء	١١
المجموع		٣٤٨

ثالثا: جدول يوضح عدد تواتر حروف الهمس:

م	الحرف	عدد تواتره
١	السين	٢١
٢	الكاف	٢٦
٣	التاء	٤١
٤	الفاء	٢٠
٥	الحاء	١٤
٦	الثاء	٢
٧	الهاء	٢٩
٨	الشين	٧
٩	الخاء	٥
١٠	الصاد	٦
المجموع		١٧١

كتب ابن الدباغ الرسالة السابقة ليشرح فيها ما تعرَّض له من وقوعه فريسة لبعض الكائدين الذين حاولوا الإفساد بينه وبين (المقتدر بن هود) أمير سرقسطة، وما تركه ذلك في نفسه من حزن وأسىٰ؛ حيث أقيل من الوزارة علىٰ إثر تلك الوقيعة، ويلاحظ من الرسالة السابقة تكرار بعض الحروف الصائتة بشكل ملحوظ، وعلىٰ رأسها (حرف الألف)؛ حيث تكرر ثلاثا وتسعين مرة، يليه (حرف الياء) الذي تكرر ستا وثلاثين مرة، وقد جعل ابن الدباغ من تكرار هذه الحروف متنفسًا له عن بعض همومه وأحزانه.

أما الأصوات المجهورة فيلاحظ طغيان بعضها علىٰ غيره، وعلىٰ رأسها (حرف الميم)، الذي تكرر إحدىٰ وخمسين مرة، وهو من الحروف التي "تنطبق الشفتان تمام

الانطباق"[١] أثناء النطق به، وهذا يوحي بإحكام الهم والغم علىٰ ابن الدباغ وسيطرتهما عليه إثر هذه الوقيعة التي حدثت بينه وبين الأمير.

يأتي في المرتبة الثانية تكرار (حرف النون)، وهو من حروف الغنة، "ومخرج النون الخيشوم"[٢]، وهذا الحرف يكثر ارتباطه بالشجن لما يحمله من طابع الغنة، وقد جسد ابن الدباغ من خلاله حزنه ومعاناته.

كما يلاحظ تكرار (حرف الراء)؛ حيث تكرر سبعا وعشرين مرة، "والصفة المميزة للراء هي تكرار طرق اللسان للحنك عند النطق بها"[٣]، واختيار صوت (الراء) له أبعاد أسلوبية ودلالية وراء تكراره؛ حيث يشير بما يحمله من صفة التكرار إلىٰ تكرار محاولات أعدائه الوقيعة بينه وبين الأمير.

وبالنسبة للأصوات المهموسة فيلاحظ هيمنة بعضها علىٰ النص، ومن ذلك (حرف التاء) الذي تكرر بشكل ملحوظ في الرسالة السابقة؛ حيث تكرر إحدىٰ وعشرين مرة، وهو"من الحروف المهموسة"[٤]، وتكرار هذا الحرف له عدة إيحاءات نفسية؛ حيث أسبغ علىٰ النص بما يحمله من صفات الهمس طابع الحزن والشجن، وفي تكراره تصوير لحالة الضعف والانكسار التي يمر بها ابن الدباغ جرّاء المحنة التي حلّت به.

---

(١) الأصوات اللغوية ـ إبراهيم أنيس ـ مطبعة نهضة مصر ـ القاهرة ـ د.ط ـ د.ت ـ ص٤٨.

(٢) ينظر سر صناعة الإعراب ـ ص ٤٩.

(٣) الأصوات اللغوية ـ ص٥٨.

(٤) ينظر سر صناعة الإعراب ـ ابن جني ـ ت/ حسن هنداوي ـ دار القلم ـ دمشق ـ ط٢ ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م ـ ص ٦٠.

وعلىٰ وجه العموم يلاحظ تكرار الأصوات المجهورة بشكل أقوىٰ من الأصوات المهموسة؛ حيث برزت الأصوات المجهورة في ثمان وأربعين وثلاثمائة مرة، في حين ظهرت الأصوات المهموسة في إحدىٰ وسبعين ومائة مرة فقط، رغم تناسب الأصوات المهموسة مع حالة الحزن والأسىٰ التي يعيشها ابن الدباغ، ولعل السبب في ذلك هو أن ابن الدباغ أراد أن يتخذ من الأصوات المجهورة ستارا يخفي وراءه أحزانه وآلامه، وكأنها حيلة دفاعية لإخفاء ضعفه وانكساره، فقد كان بالعهد القريب وزيرا له قدره فليس من السهل عليه إظهار الضعف والانكسار، مما جعله يحاول أن يظهر بالمظهر القوي المتماسك الذي يتناسب مع علو قدره رغم ما آل إليه من الضعف والهوان.

ب ـ تكرار الكلمات:

إن تكرار بعض الكلمات يقوم بشحن النص بطاقة تنغيمية موسيقية تعكس دلالات نفسية قصدها الأديب، فتكرار بعض الألفاظ يمثل إلحاح معنىٰ شعوري معين قصد الأديب إبرازه عبر هذا اللفظ، وقد عمد ابن الدباغ إلىٰ تكرار بعض الكلمات علىٰ نحو ما سيتضح.

- **تكرار (لا) النافية:**

يقول ابن الدباغ: "ليت شعري متىٰ أفتتح بالرضىٰ، وهل أكتب من الدهر ولا أتشكىٰ، فإني أحمد الله علىٰ حياة أقطعها في شدائد لا تنثني، وسكراتِ غم لا تنجلي، ونكد أخلاق لا يشوبه ابتهاج، وضيق أحوال لا يتخللها انفراج"[(١)]، فقد تكررت (لا) النافية في هذه الفقرة خمس مرات، مما أفصح عن دلالات نفسية قصدها الأديب، وهي خلو نفسه عن كل ما يسعدها، وامتلائها بكل ما يحزنها ويغمها.

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٦٥.

كما برز تكرار (لا) النافية في قوله: "ما أظن أن لدجىٰ حالي انبلاجًا، ولا لكربة نفسي انفراجًا، ولا إخال غمراتِ الهم تنجلي، ولا مدد النحوس تنقضي"(١)، حيث تكررت (لا) النافية هنا ثلاث مرات، كما سُبقت ثلاثتهم بـ(ما) النافية التي افتتح بها رسالته، وقد تآزرت جميعها لإظهار حالة اليأس والانكسار التي يعيشها ابن الدباغ.

- **تكرار كل من (كيف) الاستفهامية، وضمير المخاطب المنفصل (أنت):**

استعان ابن الدباغ بتكرار (كيف) الاستفهامية، وكذلك ضمير المخاطب (أنت) في إحدىٰ رسائله التي يقول فيها: "تحيَّل في استلطاف فلان فعساه يلين بعد قساوته، ويسكن غضبه بعد اشتداده، وكيف أوصيك وأنت ساحر البلد، وأحد النفاثات في العقد؟ ومن العجب أن أدعوك إلىٰ ذلك وأنت الذي جنيت علي فيه، وأذقتني مرارة تجنيه، فكيف تصلح وأنت المفسد؟، وكيف تستدنيه وأنت المبعد؟، وكيف تنصف وأنت الظالم؟ أو تبني وأنت الهادم؟"(٢)، فقد تكررت (كيف) الاستفهامية هنا أربع مرات، ومن الملاحظ أنها لم تأت بمعناها الاستفهامي، بل عدل بها عنه لتحمل معنىٰ التعجب، وقد حمل هذا التكرار بعض الدلالات النفسية التي قصدها الأديب، وهي محاولة تعرية هذا المخاطب من أي خلق حميد، وإلباسه كل خلق دنيء، كما يتضح في الفقرة السابقة أيضا تكرار ضمير المخاطب (أنتَ) ست مرات الذي أكد من خلاله نسبة هذه التهم إلىٰ المخاطب.

- **تكرار (كلما):**

استخدم ابن الدباغ تكرار (كلما) في أكثر من موضع مستعينا بها علىٰ تثبيت المعنىٰ وتوكيده في نفس المتلقي، كما يظهر في قوله: "وإن نفسي من التبلد والكهامة والأين،

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٦٦.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٦٠.

بحيث لا تخلص معنىٰ ولا تجمع بين حرفين، وما حال مَنْ كلّما همَّ بشيء باعده الدهر منه، وطردته الليالي عنه، وكلما قرع باب مطلب عارضه من الحرمان ردّ؟"(١)، يشرح ابن الدباغ هنا سوء حالته النفسية، وانشغال ذهنه بحيث لا يستطيع أن يكتب أو يعبر، بل إنه لا يستطيع أن يجمع بين حرفين، وذلك بسبب الواقع المرير الذي يعيشه؛ حيث أغلقت أبواب الأمل في وجهه، وانقطعت أسباب النجاح مهما حاول الاجتهاد في تحقيقه، ويتضح من الفقرة السابقة تكرار لفظ (كلما)، الذي يحمل معنىٰ التكرار، وتجديد المحاولة، مما يكشف عن يأسه من تحقيق آماله، مهما تعددت محاولاته للوصول إليها.

كذلك يتجلىٰ تكرار (كلما) في قوله: "كتابي والحال في الخمول كما علمت، والجدُّ في الشقاوة كما عهدت، وكلما أرجو لباب الفرج انفراجًا يستبهم ويزداد إرتاجًا، وكلما أطمعُ بمطالبة الأيام أن تلين تشتد اعتزاء، ولسهام النوائب أن تنثني تتتابع وِلاءً"(٢)، يفصح ابن الدباغ هنا عما يجيش به صدره من ضجر، وألم نتيجة لسوء حظه، وإخفاق جهده، مستخدما الأسلوب الخبري الذي وضح من خلاله تلك المعاني والأحاسيس، ويلاحظ هنا تكرار لفظ (كلما) الذي جسَّد من خلاله كثرة محاولاته لتحقيق آماله، وملازمة الإخفاق له في كل مرة.

وهكذا كان لتكرار بعض الكلمات في رسائل ابن الدباغ أثره القوي في تثبيت المعنىٰ وتوكيده في النفس، فضلا عن تقوية التناغم الموسيقي.

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٦٤.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٦١، وما بعدها.

ثانيا: "الجناس"[١]:

وهو وسيلة من الوسائل التي يستعين بها الأديب لإثراء التناغم الصوتي لديه، فضلا عن أثره القوي في تأكيد المعنىٰ وتمكينه في ذهن المتلقي، وقد تجلىٰ أسلوب الجناس بكثرة في رسائل ابن الدباغ لافتا من خلاله انتباه المتلقي، مما كان له وقعه في النفس، وأثره في تنشيط الذهن، ومن ذلك قوله: "ومن العجب أني أنوي في كتبي أن تكون من الشكوىٰ خالية، وبزينة التجمل حالية، ولسان الحال تأبىٰ إلا أن تبوح بمضمر"[٢]، في الفقرة السابقة جناس ناقص يتجلىٰ بين كلمتي (خالية ، حالية) فقد اتفقتا في عدد الحروف وترتيبها وهيئتها، واختلفتا في نوعها، فجاءت (الحاء) في (حالية) لتقابل (الخاء) في (خالية) وهو "جناس مضارع"(٣)؛ حيث يتقارب الحرفان في المخرج، فكلاهما يخرج من الحلق، مما كان له أثره القوي في إحداث تناغم موسيقي أخاذ، كما ساعد في تجسيد ما تنطوي عليه نفس ابن الدباغ من حزن عميق.

أيضا يتجلىٰ الجناس في قوله: "قد كنتُ أؤملُ هذا التلاقي، لأشكو فيه إليك دواهي بلغت بالنفوس التراقي"[٤]، يظهر هنا جناس ناقص بين لفظي (التلاقي، التراقي) فقد اتفقا في عدد الحروف وترتيبها وهيئتها، واختلفا في نوعها، فجاءت (اللام) في (التلاقي) في مقابلة (الراء) في (التراقي)، وهو جناس مضارع؛ حيث يتقارب الحرفان في المخرج، فمخرجهما "يكاد ينحصر بين أول اللسان بما فيه طرفه والثنايا

---

(١) (الجناس بين اللفظين: تشابههما في اللفظ) الإيضاح ـ الخطيب القزويني ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٢م ـ ص ٢٨٨.

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٥٤، وما بعدها.

(٣) (الجناس المضارع: هو أن يكون الحرفان المختلفان متقاربين في المخرج) ينظر الإيضاح ـ ص ٢٩١.

(٤) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٥٥.

العليا بما فيها أصولها"[١]، وقد أفصح من خلاله عن مكنون نفسه من الحزن والأسىٰ، فضلا عما أحدثه من تنغيم صوتي رنان.

كذلك يبرز الجناس في قوله: "فعل من يلبس للأحوال لبوسها، ولا يحفل بنعيم الأيام وبوسها"[٢]، يتجلىٰ في هذه الفقرة "جناس ناقص"[٣] بين لفظتي (لبوسها، بوسها) حيث اتفق كل منهما في نوع الحروف وترتيبها وهيئتها، واختلفا في عدد الحروف، فزادت كلمة (لبوسها) وهي الثياب، حرفا وهو (اللام) عن كلمة (بوسها) مخففة من البؤس بمعنىٰ الشقاء، ولا شك أن هذا التشابه بين اللفظتين أحدث تناغما صوتيا ملحوظا، علاوة علىٰ دوره الفعال في إيصال المعنىٰ للمتلقي علىٰ أكمل وجه؛ حيث أوضح من خلاله استعداده لتقلب الدهر وتبدل أحواله، وعدم اكتراثه بنعيم الأيام أو شقائها، فهما عنده سواء.

كما يتبدَّىٰ الجناس في قول ابن الدباغ: "وهمت نفسي بأن تفارق عادتها عن الكظم، لولا بقية بقيت من الخجل ذكرتي بالتمالك، وعرفتني مذهبي في التماسك"[٤]، يتضح هنا الجناس المضارع بين (التمالك، التماسك)؛ حيث اتفق اللفظان في عدد الحروف وترتيبها وهيئتها، واختلفا في نوعها، فجاء حرف (السين) في كلمة (التماسك) في مقابلة (اللام) في كلمة (التمالك)، والسين واللام متقاربان في المخرج؛ فمخرجهما "يكاد ينحصر بين أول اللسان بما فيه طرفه والثنايا العليا بما

(١) الأصوات اللغوية ـ ص٤٩.
(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٦٣.
(٣) (الجناس الناقص: أن يختلف اللفظان في أعداد الحروف) الإيضاح ـ ص ٢٩٠.
(٤) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٦٤.

فيها أصولها"[١]، وقد وضح من خلاله قوة احتماله وصبره علىٰ ما يلاقي من المحن، فضلا عن دوره في إثراء التناغم الصوتي.

ويطل علينا الجناس في رسالته التي يقول فيها: "تراني كفؤاً لما خطبت، وأهلاً لما رغبت، ولا غرو أن أقرن بهذا استنهاضك إلىٰ مشاركتي في الخطب الأخطر، والمهم الأكبر، دون أن أصل للإخاء حبالاً، وأتدرج في تهذيب الصفاء حالاً فحالاً، حتىٰ يتمكن الارتباط، ويتمهد الاغتباط"[٢]، يبدو أن هذه الفقرة جاءت ضمن رسالة أرسلها لأحد الأمراء يلفت بها نظره إليه ليستعمله في أحد المناصب، ويتجلىٰ الجناس هنا في موضعين، الأول: يبدو بين لفظي (حالا، حبالا)، وهو جناس ناقص؛ حيث اختلفا في عدد الحروف فزادت (الباء)، في لفظة (حبالا)، والموضع الثاني يكمن بين كلمتي (الارتباط، الاغتباط) ويعد من "الجناس اللاحق"[٣]، حيث اختلف اللفظان في نوع الحروف فجاء حرف (الغين) في كلمة (الاغتباط) موضع (الراء) في كلمة (الإرتباط)، وهما متباعدان في المخرج؛ حيث تخرج (الغين) من "أدنىٰ الحلق إلىٰ الفم"[٤]، بينما تخرج (الراء) من "التقاء طرف اللسان بحافة الحنك مما يلي الثنايا العليا"[٥]، ولا يخفىٰ دور الجناس هنا في إثراء الموسيقىٰ الصوتية، فضلا عن

(١) الأصوات اللغوية ـ ص٤٩.
(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٩٢.
(٣) (الجناس اللاحق: هو أن يختلف الحرفان في النوع ويكونان غير متقاربين في المخرج) ينظر الإيضاح ـ ص ٢٩٢.
(٤) الأصوات اللغوية ـ ص٧٥.
(٥) المرجع السابق ـ ص٥٧.

تعزيزه للمعنىٰ؛ حيث حاول ابن الدباغ من خلال هذا الجناس إبراز مكنون نفسه من الرغبة في الترقي لأحد المناصب المهمة، كالوزارة ونحوها.

وهكذا يتضح بروز الجناس بشكل ملحوظ في رسائل ابن الدباغ مما شكَّل ظاهرة أسلوبية صوتية لديه، ولا يخفىٰ الدور الفعال الذي قام به الجناس من إثراء التناغم الصوتي، والتكثيف الموسيقي، علاوة علىٰ تأكيد المعنىٰ وتثبيته في النفس.

ثالثا: "الطباق"[(١)]:

وهو وإن لم يحدث موسيقىٰ صوتية ظاهرة، فإنه يحدث نوعا من الإيقاع الخفي، والتوازن النفسي لدىٰ المتلقي، لأنه إذا ذُكر لفظ كانت النفس في تشوق لذكر ضده، وكما قيل بالضد تتميز الأشياء، وقد استعان ابن الدباغ بأسلوب الطباق في عدة مواضع، منها قوله: "وليت شعري أتنجز الأيام موعودًا، أو تدني من الأمل بعيدًا، فترضي بما أسخطت، وتعتذر بما أذنبت، وتنسي مضض شدتها بليان، وتمحو أثر إساءتها بإحسان؟"[(٢)]، ويتجلىٰ الطباق هنا في قوله: (تدني، وبعيدًا)، وقوله: (ترضي، وأسخطت)، وقوله: (شدة، وليان)، وقوله: (إساءة، وإحسان)، وقد صور من خلاله المفارقة بين ما تكنه نفسه من رجاء وأمل، وما يمثله واقعه من إخفاق ويأس، مما يعكس حالة الصراع النفسي التي يعيشها ابن الدباغ بين الواقع والمأمول.

كما يبرز أسلوب الطباق في قوله: "كتابي وعندي من الدهر ما يهدُّ أيسره الرواسي، ويفتِّتُ الحجرَ القاسي، فأنا وإياه فرسا رهان: (يُجد نوائبًا وأُجيد صبرًا)، ومن أجلِّها قلبُ محاسني مساويَ، وأوليائي أعاديَ، وقصدي بالبغضة من جهة المِقَّة، واعتمادي

(١) (الطباق: هو الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين) الإيضاح ـ ص ٢٥٥.

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٥٤.

بالخيانة من حيث الثقة"[١]، يوضح ابن الدباغ هنا معاداة الدهر له مستعينا بأسلوب الطباق الذي برز بين قوله: (محاسني، ومساوي)، وقوله: (أوليائي، وأعادي)، وقوله: (البغضة، والمِقَّة)، وكذلك قوله: (الخيانة، والثقة) الذي أوضح من خلاله مدىٰ محاربة الدهر له وتوقفه له بالمرصاد، يقلب محاسنه مساوئ، ويحوِّل أولياءه أعادي، وابتغاءه بالبغضة من جهة المحبة، واعتماده بالخيانة من حيث الثقة، وقد عكس من خلاله ما تبثه نفسه من مشاعر القلق والتوتر، وعدم الأمان.

أيضا يتبدَّىٰ الطباق في قول ابن الدباغ: "تحيَّل في استلطاف فلان فعساه يلين بعد قساوته، ويسكن غضبه بعد اشتداده، وكيف أوصيكَ وأنتَ ساحر البلد، وأحد النفاثات في العقد؟ ومن العجب أن أدعوك إلىٰ ذلك وأنتَ الذي جنيتَ عليَّ فيه، وأذقتني مرارة تجنيه، فكيف تصلح وأنتَ المفسد، وكيف تستدنيه وأنتَ المُبعِد، وكيف تنصف وأنتَ الظالم أو تبني وأنتَ الهادم؟"[٢]، يخاطب ابن الدباغ هنا أحد الواشين بينه وبين (المقتدر) مستخدما أسلوب الطباق الذي يتجلىٰ بين قوله (يلين، وقساوة)، وقوله: (يسكن، واشتداد)، وقوله: (تصلح، والمفسد)، وقوله: (تستدنيه، والمُبعِد)، وقوله: (تنصف، والظالم)، وقوله: (تبني، والهادم)، الذي أوضح من خلاله المفارقة بينه وبين هذا الرجل؛ حيث سلامة نية ابن الدباغ وثقته فيه، وسوء نية هذا الرجل، ومكره به.

وثمة موضع آخر يتجلىٰ فيه الطباق، وهو قول ابن الدباغ: "فارقته الرأفة، وتمكَّنت منه القسوة"[٣]، يصف ابن الدباغ هنا تغير (المقتدر بن هود) بعد سماعه للواشين به

(١) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٥٧.
(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٦٠.
(٣) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٧٢.

مستعينا بأسلوب الطباق الذي يظهر بين قوله: (فارق، وتمكَّن)، وكذلك قوله: (الرأفة، والقسوة) الذي أوضح من خلاله نجاح هؤلاء الواشين في الإفساد بينه وبين (المقتدر)، وما ترتب علىٰ ذلك من تبدل حال (المقتدر) معه من الرأفة إلىٰ القسوة، ومن اللين إلىٰ الشدة.

وعلىٰ ضوء ما سبق يتضح تجلي الطباق بصورة كبيرة في رسائل ابن الدباغ مما جعله يشكل ظاهرة أسلوبية تميزت بها معظم رسائله، ولا يخفىٰ الدور الجمالي الذي قام به الطباق من تأكيد المعنىٰ وتثبيته في النفس، فضلا عما أحدثه من التوازن النفسي لدىٰ المتلقي.

رابعًا: "السجع"(١):

المتتبع لرسائل ابن الدباغ يجده قد حرص فيها علىٰ موسيقية الجمل، وقد برز ذلك من خلال عنايته بالفاصلة، والسجع بين الجمل لإثراء التناغم الصوتي والموسيقي فيها، ويتجلىٰ ذلك في جميع رسائله مما ميزها بجرس موسيقي أخاذ، ومن ذلك قوله: "كيف أكتب أو أعبر، وبأي ذهن أخبرُ وأستخبر"(٢)، يلاحظ انتهاء الجملتين السابقتين بحرف (الراء)، كما يتضح من قوله: (أعبر)، و(أستخبر) فضلا عن كلمة (أخبر) التي انتهت بالراء أيضا، مما ساعد في تعزيز التناغم الموسيقي، وحرف الراء من الحروف المكررة وقد كان لذلك دوره في إيصال المعنىٰ علىٰ أكمل وجه؛ حيث جسد تكرار محاولاته للكتابة والتعبير لكن دون جدوىٰ لانشغاله بالهموم، الأمر الذي حال بينه وبين الكتابة.

---

(١) (السجع هو: الكلام المقفَّىٰ، أو موالاة الكلام علىٰ رويٍ) ينظر القاموس المحيط ـ الفيروز آبادي ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ د.ط ـ ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م ـ مادة (سجع).

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٦٤.

كما يظهر السجع في قوله: "كتابي وأنا أساير من هذه النكبة غمرة يتطاول مداها ويمتد، وأصابر منها محنة تزيد مع الأيام وتشتد"(١)، جاءت هاتان الجملتان في مستهل رسالة لابن الدباغ يشرح فيها المحنة التي حدثت له بدولة (المقتدر) جراء الوقيعة التي حدثت بينهما، وترتب عليها إقالة (المقتدر) له من الوزارة، ويتجلىٰ السجع هنا في توافق الحرف الأخير من الجملتين؛ حيث انتهت كلتاهما بحرف (الدال)، كما يتضح من قوله: (يمتد)، و(يشتد)، وهو من الحروف المجهورة الشديدة التي ساعدت في تجسيد قوة المحنة وشدة وقعها علىٰ نفس ابن الدباغ.

كذلك يتجلىٰ السجع في قوله: "آيات مجدك ظاهرة، وأقمار سؤددك باهرة، والعيون إليها ناظرة، والهمم منها غائرة، وخطا الأيام عن نيلها قاصرة، وأقدام المساعي في مداها عاثرة"(٢)، فقد توافقت الفاصلة في جميع الجمل السابقة حيث انتهت جميعها بالتاء المربوطة المسبوقة بحرف الراء، مما كان له أثره في إثراء التناغم الصوتي بين الجمل، علاوة علىٰ مناسبتها للمعنىٰ؛ حيث تناسب حرف الراء بما يحمله من التكرار مع معاني المدح التي اشتملت عليها الفقرة السابقة، وكأن ابن الدباغ يريد أن يجسد من خلاله تكرار ظهور آيات مجد الممدوح وتجددها، وكذلك تكرار إبهار أقمار سؤدده للعيون، وتكرار غيرة الهمم من آياته الظاهرة، وأقماره الباهرة، وتكرار محاولة نيل خطا الأيام من كل ذلك لكن دون جدوىٰ، كما يجسد تكرار تعثر أقدام المساعي التي تحاول الوصول إلىٰ ما وصل إليه الممدوح، ولا يخفىٰ ما أضفاه هذا الحرف من الحركة والحيوية.

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٦٨، وما بعدها.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٩٧.

أيضا يبدو السجع في قوله: "وواحسرتا لجنة المواهب كيف سُجرت، ولشمس المعالي كيف كورت، ويا لهفا علىٰ هضبة الحلم كيف زلزلت، وحدة الذكاء والفهم كيف فللت"(١)، جاءت هذه الفقرة ضمن رسالة كتبها ابن الدباغ في رثاء بعض أحبابه، وقد انتهت الفواصل هنا بحرف التاء مما أضفىٰ جرسا موسيقيا رنانا، والتاء من حروف الهمس التي ساعدت في تجسيد حالة الضعف والوهن النابعة من حزن ابن الدباغ علىٰ الفقيد، ومما زاد من جمالية السجع هنا أنه يتضمن قول الله تعالىٰ:﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ۝٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ۝٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦﴾ [سورة التكوير: ١-٦]، مما يربط بين موت هذا المرثي، وما تصوره الآيات من الموقف المهيب للقيامة، هذا الأمر الذي ساعد في مضاعفة الإحساس بالفاجعة.

والمتدبر في رسائل ابن الدباغ يتضح له لجوء ابن الدباغ إلىٰ تخفيف الهمزة في الكثير من المواضع من أجل السجع، واللافت للانتباه أن الحرف المخفف لم يكن الحرف الأخير في الجملة، بل كان الحرف السابق له مما يؤكد حرص ابن الدباغ علىٰ تكثيف التناغم الصوتي بين الجمل، ومن ذلك قوله: "فما أصنع وقد أبىٰ القضاء إلا أن أقضي عمري في بوس، ولا أنفكُ من نحوس"(٢)، فقد خفف الهمزة في كلمة (بؤس) لتصير (بوس) حتىٰ تتناسب في موسيقاها مع كلمة (نحوس) مما ساعد في تكثيف التناغم الصوتي، ومثله قول ابن الدباغ: "فعل من يلبس للأحوال لبوسها، ولا يحفل بنعيم الأيام وبوسها"(٣)، فكلمة (بوسها) هنا مخففة من (بؤسها)، كذلك

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٣١٤.
(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٥٨.
(٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٦٣.

يتجلىٰ تخفيف الهمزة من أجل السجع في قوله: "والناس يستعيذون بالله من بوسه، لما رأوا من فرط عبوسه"(١)، فكلمة (بوسه) مخففة من (بؤسه)، ويظهر تخفيف الهمزة أيضا في قوله: "حتىٰ كأني أبديت له معاير، وأدرتُ عليه دواير"(٢)، فكلمة (دواير) مخففة من (دوائر)، وهكذا تعددت المواضع التي استعان فيها ابن الدباغ بتخفيف الهمزة من أجل السجع حتىٰ كادت أن تشكل ظاهرة صوتية لديه، وهذا يفصح عن مدىٰ حرصه علىٰ موسيقية الجمل.

وهكذا يتضح مدىٰ توفيق ابن الدباغ في استخدام السجع الذي لم يقتصر دوره علىٰ إثراء التناغم الموسيقي بين الجمل فقط، بل كان له دوره الفاعل أيضا في إيصال المعاني والأفكار للمتلقي علىٰ أكمل وجه.

خامسا: "التوازي"(٣):

والتوازي وإن كان مشهورا بالشعر بيد أنه يوجد في الشعر والنثر علىٰ حد سواء، وقد برز التوازي بشكل ملحوظ في رسائل ابن الدباغ، مما شكَّل خاصية أسلوبية لديه تقوم علىٰ التشابه والتماثل بين أجزاء الجملتين، وهذا بدوره ميَّز رسائله بتناغم موسيقي مكثف قرَّبها من طبيعة الشعر، بل تكاد تفوقه في بعض الأحيان كما سيتضح.

فمن المواضع التي يتجلىٰ فيها التوازي قول ابن الدباغ: "صبرًا يشتد لشدائد النوبِ حتىٰ تجوز وتعبر، وتوفيقًا يهدي في غياهبِ الكُرَبِ حتىٰ تنجلي وتسفر"(٤)،

---

(١) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٨٢.

(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٥٩.

(٣) (التوازي هو: التشابه الذي هو عبارة عن تكرار بنيوي في بيت شعري أو في مجموعة أبيات شعرية) ينظر التشابه والاختلاف نحو منهاجية شمولية ـ محمد مفتاح ـ المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ـ المغرب ـ د.ط ـ د.ت ـ ص٩٧.

(٤) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٥٧.

جاءت هاتان الجملتان ضمن دعاء ختم به ابن الدباغ إحدىٰ رسائله التي يشكو فيها نوائب الدهر، وقد برز خلالهما التوازي التام القائم علىٰ أساس تركيبي نحوي، وصرفي؛ حيث تكونت كلتا الجملتين من سبع كلمات، وربط بينهما بواو العطف، وقد بدأت كل منهما بمصدر منصوب علىٰ المفعولية (صبرًا، توفيقًا)، يليه فعل مضارع (يشتدُ، يهدي)، ثم جار ومجرور (لشدائد، في غياهبِ)، يعقبه مضاف إليه (النوبِ، الكُرَبِ)، ثم أتىٰ بـ(حتىٰ) المتبوعة بفعل مضارع، ثم الواو العاطفة المتبوعة بفعل مضارع آخر، نحو (حتىٰ تجوزَ وتعبرَ، حتىٰ تنجليَ وتسفرَ)، فضلا عن انتهاء كلتا الجملتين بحرف الراء، مما خلق توازيا إيقاعيا جذابا، وقد أبرز ابن الدباغ من خلاله معاناته مع الدهر، ولا شك أن آخر ما يطرق الأذن من النص الأدبي يكون له موقع في النفس وأثر يفوق باقي النص.

كذلك برز التوازي في قول ابن الدباغ: "المحنة بأوغادٍ تدقُّ عن المجازاةِ مقاديرُها، والبلية بذبابٍ يحميها من أن تُنالَ مقاذيرُها"(١)، وردت هاتان الجملتان في نهاية إحدىٰ رسائله، وهما جملتان متوازيتان تركيبيا نحويا وصرفيا، فضلا عن توافق الفاصلتين فيهما؛ حيث تكونت الجملتان من سبع كلمات، رابطا بينهما بواو العطف، وقد بدأت كل منهما بمبتدأ اسم مؤنث (المحنة، البلية)، يليه جار ومجرور (بأوغاد، بذباب)، ثم فعل مضارع (تدق، يحميها)، يعقبه حرف جر (عن، من)، ثم مصدر صريح في الجملة الأولىٰ، يقابله مصدر مؤول في الجملة الثانية (المجازاة، أن تنال) ثم انتهت الجملة الأولىٰ بفاعل جاء علىٰ صيغة جمع الكثرة المضاف إليها ضمير الغائب (مقاديرها)، كما انتهت الجملة الثانية بنائب فاعل جاء أيضا علىٰ صيغة جمع الكثرة المضاف إليها ضمير الغائب (مقاذيرها)، وقد جاء كلاهما علىٰ الوزن نفسه،

(١) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص ٢٦٠.

وينتهيان بالروي نفسه، وهو الراء المسبوقة بياء المد، والمتبوعة بالهاء، ولا يخفىٰ الأثر الفعال الذي قام به التوازي هنا؛ حيث تكثيف التناغم الصوتي، وتقريب الكلام من طبيعة الشعر، فضلا عن دوره في تماسك النص.

أيضا من المواضع التي يتجلىٰ فيها التوازي قول ابن الدباغ: "والحالُ في الخمولِ كما علمتَ، والجِدُّ في الشقاوةِ كما عهدتَ"(١)، جاءت هاتان الجملتان في مستهل إحدىٰ رسائله، وقد برز خلالهما التوازي التركيبي؛ حيث تكونت الجملتان من خمس كلمات علاوة علىٰ (الواو) التي جاءت في مستهل كل منهما، وقد تلاها مبتدأ في كلتا الجملتين (الحالُ، الجدُّ) ثم جار ومجرور (في الخمولِ، في الشقاوةِ)، متبوعا بكاف التشبيه المتصلة بما الموصولة (كما) ثم ختم كل منهما بفعل ماض متصل بضمير المخاطب (علمتَ، عهدتَ)، وهذا التوازي التركيبي بين الجملتين خلق توازيا إيقاعيا جذابا كان له دور فعال في إطراب المتلقي ولفت انتباهه.

كما تبدَّىٰ أسلوب التوازي في قول ابن الدباغ: "ونكدِ أخلاقٍ لا يشوبه ابتهاجٌ، وضيقِ أحوالٍ لا يتخللها انفراجٌ"(٢)، وردت هاتان الجملتان ضمن رسالة له يأسىٰ فيها لحياته التي يقطعها في شدائد وغم، ونكد وضيق، ويلاحظ التوازي التركيبي التام بين الجملتين؛ حيث تكونت الجملتان من ست كلمات، وافتتح كل منهما بحرف عطف (الواو) يليه اسم مجرور معطوف علىٰ ما قبله (نكد، ضيق)، ثم مضاف إليه (أخلاقٍ، أحوال)، يتبعه حرف نفي (لا) ثم فعل مضارع متصل بضمير الغائب الذي وقع في محل نصب مفعول به مقدم (يشوبه، يتخللها)، وختم كلاهما بالفاعل المؤخر (ابتهاج، انفراج)، وقد ساعد التوازي التام بين الجملتين في تجسيد معاناته فضلا عن

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٦١، وما بعدها.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٦٥.

تكثيف التناغم الإيقاعي؛ فاختيار الفعل المضارع هنا جسد استمرارية المعاناة، كما أن مجيء الفعل هنا منفيا والفاعل نكرة أفاد خلو حياته التام من أدنىٰ درجات الابتهاج أو الانفراج فالنكرة تدل علىٰ التقليل.

كذلك بدا أسلوب التوازي في قول ابن الدباغ: "تنقسم رتبها وتتناوب، وتتنازع نعمها وتتجاذب، وتغنم فوائدها وتتناهب"(١)، استعان ابن الدباغ هنا بأسلوب التوازي أثناء حديثه عن حظه من الدنيا، الذي لم يتمثل في أخذ أي نصيب منها، بل انحصر في مشاهدة غيره وهم يقتسمون رتبها، ويتنازعون نعمها، ويغنمون من فوائدها، ويلاحظ أن التوازي هنا لم يظهر بين جملتين فحسب، بل برز بين ثلاث جمل مما كثف التناغم الموسيقي؛ حيث ضمت الفقرة السابقة ثلاث جمل متوازية، بدأت كل منهم بفعل مضارع (تنقسم، تتنازع، تغنم)، يليه فاعل متصل به ضمير للغائب يعود علىٰ الدنيا، وقع في محل جر مضاف إليه (رتبها، نعمها، فوائدها)، ثم حرف عطف متبوع بفعل مضارع (وتتناوب، وتتجاذب، وتتناهب)، ولا يخفىٰ دور التوازي الفاعل في تجسيد معاناة ابن الدباغ، علاوة علىٰ إثراء التناغم الموسيقي بين الجمل.

كما طلَّ علينا أسلوب التوازي في قول ابن الدباغ: "إذا أسيتُ لفراقِكَ فإنَّ في الباكين حولي تسليًا، أو جزعتُ من رحلتِكَ فإنَّ في المصابين معي تعزيًا"(٢)، تصدَّرت هاتان الجملتان إحدىٰ رسائله التي يرثي فيها أحد أصدقائه وأحبابه الذين فارقوه، وقد استعان بأسلوب التوازي الذي ظهر جليا بين هاتين الجملتين من خلال التطابق التركيبي التام بين الجملتين السابقتين؛ حيث بدأت كل منهما بـ(إذا) الظرفية

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٦٧.

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٩٨.

الشرطية، يليها فعل الشرط المتصل به تاء الفاعل (أسيتُ، جزعتُ)، ثم أتىٰ بجار ومجرور مضاف إليه ضمير متصل (لفراقِكَ، من رحلتِكَ)، ثم فاء السببية المتصلة بإنَّ المؤكدة (فإنَّ)، يعقبها خبر إنَّ مقدم وقد جاء شبه جملة (جار ومجرور) في الجملتين (في الباكين، في المصابين)، يليه ظرف مضاف إليه ضمير متصل (حولي، معي)، وختمت كلتا الجملتين باسم إنَّ مؤخر (تسليًا، تعزيًا)، وهكذا استطاع ابن الدباغ أن يفصح عن معاناته في فقد هذا المرثي من خلال أسلوب التوازي الذي أسهم في أداء المعنىٰ في صورة وجدانية مؤثرة، بالإضافة إلىٰ دوره في تكثيف الموسيقية بين الجمل.

وهكذا يتضح الدور الفعال الذي قام به أسلوب التوازي؛ حيث كان لهذا التناسب الصوتي والإيقاعي الناتج عن تلك المتوازيات أثره القوي في إثراء موسيقية الجمل.

وعلىٰ ضوء ما سبق يتبين الحضور القوي لبعض أشكال التناسب الصوتي والإيقاعي في رسائل ابن الدباغ، كالتكرار، والجناس، والطباق، والسجع، والتوازي، مما شكَّل عدة ظواهر أسلوبية تميزت بها معظم رسائله علىٰ المستوىٰ الصوتي، وقد كان لذلك أثره البالغ في تقريب النتاج الأدبي لدىٰ ابن الدباغ من طبيعة الشعر، فضلا عن دوره في تماسك النص، وتكثيف المعاني لدىٰ المتلقي.

والمتأمل في رسائل ابن الدباغ يجد أنها لم تقتصر فقط علىٰ تلك الأساليب التركيبية، والأساليب الصوتية التي تساعد في إثراء الإيقاع كما تبين سابقا، وإنما يجد أساليب أخرىٰ لا تقل أهمية عنهما قد تجلت بوضوح في معظم رسائله، ومنها الأساليب التصويرية التي كان لها دور فعال في إسباغ الشعرية والجمال علىٰ رسائله، وهذا ما سيتناوله المبحث القادم بإذن الله تعالىٰ.

المبحث الثالث: أسلوبية التصوير وتجلياته الجمالية

المتأمل في رسائل ابن الدباغ يجده قد عدل في معظمها عن المباشرة في التعبير مؤثرا ذلك باستخدام أسلوب التصوير سواء أكان ذلك من خلال أساليب بلاغية تفي بإبراز معانيه علىٰ أكمل وجه مع زيادة مسحة جمالية تترك أثرها في نفس المتلقي، أم كان من خلال استدعاء التراث، مما أضفىٰ علىٰ أسلوبه شعرية وتأثيرا، ومن أبرز تلك الأساليب أسلوب التشبيه والاستعارة والكناية، وكذلك أسلوب استدعاء التراث، كما سيتضح.

أولا: أسلوب "التشبيه"(١):

استخدم ابن الدباغ أسلوب التشبيه في الكثير من رسائله مستعينا به في إيصال ما تبثه نفسه من مشاعر وأحاسيس مما كان له أثره في نفس المتلقي، ولم يستخدم ابن الدباغ حالا واحدة من التشبيه، بل نوع فيه بين التشبيه الصريح، والضمني، والتشبيه البليغ، مما ساعد في تنشيط ذهن المتلقي وكسر الرتابة والملل، فمن مواضع التشبيه الصريح في رسائله قوله: "قد كنتُ – أعزّكَ الله – متمنيًا لهذه الأيام، كما يتمنىٰ في المحل صوب الغمام، ومنتظراً لظهورك فيها، كانتظار النفس أعذب أمانيها"(٢)، فقد شبه شدة تمنيه قدوم هذا الصديق بتمني المكان نزول المطر عليه لما يتركه من خير وبركة، كما شبه انتظار رجوع صديقه بانتظار النفس أعذب أمانيها في تحصيل الخير والمنافع، ولا يخفىٰ ما يحمله هذا التشبيه من دلالات عميقة؛ حيث دلل به علىٰ شدة حبه لهذا الصديق، وبيَّن من خلاله منزلته الرفيعة التي يتبوؤها في قلبه.

كذلك يبدو التشبيه الصريح في قول ابن الدباغ: "وبقيتُ لا أُقلقَلُ ولا أُزعَجُ

(١) (التشبيه: هو مشاركة أمر لأمر في معنىٰ بأدوات معلومة) جواهر البلاغة ـ ص ٢١٩.

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص ٢٨٠.

كالمستضعفِ أحاطتْ به غَلبةٌ، ولم تُسمعْ له طَلِبة"(١)، يصف ابن الدباغ هنا حاله بعد سماع خبر إقالة (المقتدر بن هود) له من الوزارة وطرده خارج البلاد، متخذا من أسلوب التشبيه وسيلة لتصوير ذلك، فشبه نفسه في استسلامه وقلة حيلته بعد سماع ذلك الخبر بالمستضعف الذي أحاطت به غلبة، ولم تسمع له طلبة، وقد جسد من خلال هذه الصورة الساكنة التزامه الصمت وعدم قدرته علىٰ الدفاع عن نفسه.

كما يلوح التشبيه الصريح في قول ابن الدباغ: "فأزعجني الأمر إزعاجًا يقتضيه تغيير رأي مثله من الأملاك، الذين هم كالليل في الإدراك، وكالقضاء إذا شاءوا في الهلاك"(٢)، يتحدث ابن الدباغ هنا عن (المقتدر بن هود) أمير سرقسطة والجفوة التي حدثت بينهما، وما ترتب عليها من توعد (المقتدر) له، وقد استعان بأسلوب التشبيه في وصف (المقتدر) حيث شبهه بالليل في الإدراك، وبالقضاء في الهلاك، وقد جسد هذا التشبيه الخوف الشديد الذي يكنه ابن الدباغ من (المقتدر)، ولعله متأثرا في هذا المعنىٰ بالنابغة الذبياني في قوله: (من البحر الطويل)

فإنـك كالليـلِ الـذي هـو مُـدركي وإن خِلـت أنَّ المُنتـأىٰ عنـكَ واسـعُ(٣)

كما كان للتشبيه البليغ ذكر في رسائل ابن الدباغ؛ حيث يقول: "وبودي لو أغربتُ في الشكر، إغرابك في الشعر، واقتدرت علىٰ الجزاء، اقتدارك علىٰ الإطراء"(٤)، جاءت هذه الجمل ضمن رده علىٰ قصيدة شعرية أرسلها إليه أحد أصدقائه الشعراء،

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٧٢.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٦٩.
(٣) ديوان النابغة الذبياني ـ شرح: عباس عبد الساتر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣ ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م ـ ص٥٦.
(٤) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٨٢.

ويحمل المقطع السابق تشبيها بليغا؛ حيث صرَّح بالمشبه والمشبه به، بيد أنه حذف أداة التشبيه، وقد وضح من خلال هذا التشبيه إعجابه بالقصيدة المرسلة إليه، وتمنيه لو استطاعت الكلمات أن تسعفه علىٰ شكر صديقه؛ بحيث تترك كلماته في نفس صديقه من الإغراب والإطراء ما فعلت قصيدة صديقه في نفسه.

كما يحضر التشبيه البليغ في قول ابن الدباغ: "وما ذكرتَه من صفاءِ الودِّ، والوفاءِ بالعهدِ، فكلُ ذلك مصوّرٌ في نفسي قبل أن تشيرَ إليه، ومحيطُ به علمي من غير أن تنبِّه عليه، لأنَّا كلٌ تبعَّض في جزءين، وجوهر تظاهر في شخصين"(١)، جاءت هذه الفقرة ضمن رسالة ردَّ بها ابن الدباغ علىٰ رسالة أخرىٰ بُعثت إليه من أحد أصدقائه المقربين، وقد وضح خلالها منزلة هذا الصديق ومدىٰ قربه من نفسه حتىٰ إنه أصبح يشعر به ويعلم ما تكنه نفسه قبل أن يتفوَّه به لسانه، وقد جسَّد هذا المعنىٰ من خلال التشبيه البليغ الذي ظهر في قوله: (لأنَّا كلٌ تبعَّض في جزءين) حيث جعل نفسه وصديقه بمثابة روح واحدة تجسَّدت في شخصين، مبينا بذلك منزلة هذا الصديق عنده، وقد ذكر المشبه (أنَّا)، والمشبه به (كلٌ تبعَّض في جزءين)، بينما حذف أداة التشبيه (الكاف) مما ساعد في تقوية المعنىٰ وترسيخه في نفس المتلقي.

أيضا من مواضع التشبيه البليغ عند ابن الدباغ قوله يصف حاله مع الدهر: "فأنا وإياه فرسا رهان"(٢)، هنا يصور ابن الدباغ حاله مع الدهر تصويرا مثيرا يموج بالحركة، والحيوية؛ حيث شبه نفسه والدهر في صورة فرسي رهان، وحذف أداة التشبيه هنا مما جعل المتلقي يتناسىٰ التشبيه، ويتخيل ابن الدباغ مع الدهر في صورة فرسي رهان يبذل كلاهما جهده للوصول إلىٰ نقطة الفوز، فهما متساويان في الجِدِّ؛ إذ

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٩٨.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٥٧.

كلما جدَّ أحدهما ليسبق جدَّ الآخر ليلحق به، وقد أبرز ابن الدباغ من خلال هذا التشبيه كثرة ما يرميه به الدهر من نوائب، وقوة احتماله وصبره علىٰ تحمل ذلك.

أما التشبيه الضمني فكان له حضور كبير في رسائل ابن الدباغ؛ حيث عمد إلىٰ بعض التشبيهات التي فُهمت ضمنيا من سياق الكلام مما كان له أثره في تنشيط ذهن المتلقي وإعمال عقله بحثا عما يكمن وراء ألفاظه من تشبيهات خفية، ودلالات جمالية، ومن ذلك قوله: "ولا تعجب إلا لثبوتي لما لا يثبت عليه الحلق السرد، وبقائي علىٰ ما لا يبقىٰ عليه الحجر الصلد"(١)، فقد شبه نفسه في تماسكها وشدة صبرها بالحلق السرد في قوته ومتانته، وبالحجر الصلد في شدته وصلابته، بل جعل نفسه تزيد عليهما في الثبوت وقوة التحمل.

كذلك يتجلىٰ التشبيه الضمنىٰ في قول ابن الدباغ: "وَلِي من الكتبِ جُلسَاءٌ تُؤنسُ في الوحدةِ، وتُسلي من الكُربةِ"(٢)، يبين ابن الدباغ هنا مكانة الكتب عنده جاعلا إياها بمثابة الجلساء المؤنسين للإنسان في وحدته، المسلين له عند كربته.

كما جاء التشبيه الضمني في قوله: "ورد كتابك فنور ما كان بالإغباب داجيًا، وحسن عنك مشافها ومناجيًا، واسترد إلىٰ الخلة بهاءها، وأجرىٰ في صفحة الصلة ماءها، وعند شدة الظماء، يعذب الماء، وبعد مشقة السهر يطيب الإعفاء"(٣)؛ حيث شبه وقع الخطاب المرسل إليه علىٰ نفسه بوقع الماء العذب علىٰ نفس شديدة الظمأ، وبطيب الراحة والنوم بعد مشقة السهر، فيكون قد بيَّن شدة سروره بهذا الخطاب بطريقة شيقة مفعمة بالإثارة والمتعة.

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٥٧.

(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٩٠.

(٣) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٩٦.

ويلاحظ أن هذه التشبيهات الضمنية في مجملها جاءت لتوضيح معان خفية، ومشاعر وجدانية حملتها نفس ابن الدباغ، مما كان له أثره العميق في خلق التفاعل والتأثير بينه وبين المتلقي.

وهكذا يتضح الاستخدام المتنوع لأسلوب التشبيه في رسائل ابن الدباغ مما شكَّل ظاهرة أسلوبية دلالية تميزت بها معظم رسائله، وقد أضفىٰ بدوره مسحة جمالية كان لها أثرها الفعال في نفس المتلقي.

ثانيا: أسلوب "الاستعارة"(١):

استعان ابن الدباغ بالاستعارة لتعميق الفكرة الشعورية لديه، وتصويرها للمتلقي في صورة نابضة مفعمة بالحيوية تتحرك خلالها الجمادات، وتتجسد المعنويات مما يثير العقل، وينشط الذهن، ويحدث تفاعلا بين النص والمتلقي، ومن المواضع التي تجلت فيها الاستعارة قول ابن الدباغ: "وليت شعري أتُنجزُ الأيامُ موعودًا، أو تُدني من الأملِ بعيدًا، فتُرضي بما أسخطتْ، وتَعتذرُ بما أذنبتْ، وتُنسي مضضَ شدتِها بليانٍ، وتمحو أثرَ إساءتِها بإحسانٍ؟"(٢)، يتحدث ابن الدباغ هنا عن قوة الأيام وقدرتها علىٰ تعكير صفو حياته، والإحالة بينه وبين تحقيق آماله، مستعينا بأسلوب الاستعارة؛ حيث شخَّص الأيام خالعا عليها بعض صفات البشر من إنجاز الوعد، ومحاولة الإرضاء والاعتذار، واللين والإحسان، جاعلا الأيام (تُنجز، وتُدني، وتُرضي، وتَعتذر، وتُنسي، وتَمحو)، وقد أبرز من خلال ذلك ما تنطوي عليه نفسه من اليأس وفقدان الأمل في تحقيق آماله وأحلامه.

---

(١) (الاستعارة: هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنىٰ المنقول عنه والمعنىٰ المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنىٰ الأصلي) جواهر البلاغة ـ ص ٢٥٨.

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٥٤.

كذلك يتجلىٰ أسلوب الاستعارة في قول ابن الدباغ: "قد آلىٰ الدهر ألا يصيبني بنوائب، حتىٰ تكون غرائب، فهو يخترع كل يوم فنا، ويطرقني بما لم يطرق قط أذنا"(١)، أراد ابن الدباغ هنا أن يعبر عن جلل الخطوب والمصائب التي حلت به، وقد تفرَّد بها دون سائر البشر، فاستعان بالاستعارة المكنية التي شخَّص من خلالها الدهر مصورًا إياه في صورة إنسان يقعد له بالمرصاد، ويقسم أن يخصَّه بمصائب فريدة، ويخترع له نوائب عجيبة، ويطرق أذنه بما لم يطرق به أذنا قط، وقد جسَّد خلال هذه الاستعارة ما تنوء به نفسه من حزن مكتوم، وألم دفين، وصوَّره تصويرًا يموج بالحركة والحيوية مما كان له وقعه في نفس المتلقي.

أيضا من المواضع التي برزت فيها الاستعارة، قول ابن الدباغ: "لله هو من كتاب أحضر وفد الأنس عندي، وجدد الجذل كعهدي، ورفع للأطراب ألويتي، وعطر بطيب الشمائل أنديتي"(٢)، هنا يحاول ابن الدباغ أن يبين سروره بهذا الكتاب المرسل إليه ومدىٰ وقعه علىٰ نفسه تأكيدا لمكانة المرسل عنده، فاستبدل التعبير المباشر بالاستعارة المكنية التي استطاع من خلالها أن يخلع علىٰ هذا الكتاب صفات الإنسان، فجعله يُحضر، ويُجدد، ويَرفع، ويُعطِّر، ولا يخفىٰ جمال الاستعارة حيث شخَّص من خلالها الجماد مما كان له أثره في نفس المتلقي.

كما ظهرت الاستعارة في قول ابن الدباغ: "ورأيت من ذلك الفاضل سيرًا تنتظرُ درج العلا أن يرتقيها، وتتشوف إليه رتب المجد أن يعتليها، وكأني به قد أجنته الأماني ثمارها"(٣)، يوضح ابن الدباغ هنا المكانة العالية التي يتنبأ لممدوحه بها، وجدارة

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٦٠.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٧٩.
(٣) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٧٩، وما بعدها.

استحقاقه لهذه المكانة، فجسد العلا في صورة درج ترتقىٰ، والمجد في صورة رتب تعتلىٰ، كما جسد الأماني في صورة شجرة ذات ثمار ناضجة، ولم يكتف بذلك، فجعل العلا في انتظار ارتقاء الممدوح درجه، وجعل المجد يتشوف اعتلاء الممدوح رتبه، كما جعل الأماني هي التي تجني ثمارها وتقدمها للممدوح، ليدلل بذلك علىٰ عظم مكانة الممدوح، ولا يخفىٰ جمال هذه الاستعارة التي صورت المعنىٰ في صورة نابضة بالحيوية ومفعمة بالحركة.

كذلك استعان ابن الدباغ بأسلوب الاستعارة في إيصال مشاعره ومعانيه للمتلقي في قوله: "كتبتُ وقد أدالَ اللهُ من تلك الديار الموحشة بضدها، وأراحَ من مواطن الهون بفقدها، ونقلَ بفضله إلىٰ حيث البرُ باهرٌ، والانعام غامرٌ، والفضلُ في النقص آمر، والنبلُ علىٰ الجهل ظاهر، نعم: وحيث المجدُ شامخُ البناءِ، والشرفُ عادي الانتماءِ، والسلطانُ رائعُ الرُّوَاء، والملكُ متناه في البهاءِ، وحيث بحورُ الكرمِ زاخرةٌ، وسماءُ المجدِ ماطرةٌ، إلىٰ غير ذلك مما يطول عدُّه، ويُعجزُ البيانَ حدُّه"(١)، يبدو أن ابن الدباغ كتب هذه الرسالة إلىٰ أحد أصدقائه إثر انتقاله إلىٰ ولاية جديدة ليخبره عن مدىٰ سروره وسعادته واطمئنان نفسه بالأمير الجديد، وقد اتخذ من الاستعارة المكنية أسلوبا لكتابة هذه الرسالة؛ حيث تشخيص الجمادات وتجسيد المعنويات، فجعل الفضل يأمر في النقص، والنبل يظهر علىٰ الجهل، وجسد المجد في صورة بناء شامخ، وجعل للسلطان منظرا رائعا في الحسن والجمال، وللملك مظهرا متناهيا في البهاء، كما صور الكرم في صورة بحور زاخرة، والمجد في صورة سماء ماطرة، ولا يخفىٰ جمال الاستعارة هنا حيث استطاع ابن الدباغ أن ينقل من خلالها شعوره في صورة مليئة بالحركة والحيوية.

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٩٤.

كما تظهر الاستعارة في قوله: " وهاتِ يا سيدي أخبارك هي أشهىٰ إلىٰ نفسي من عَصْرِ الصَّبا، وأندىٰ علىٰ كبدي من نسيم الصبا، وجدِّدْ بك وبها عهدي فقد عفا منه رسْم، ولاحَ عليه للقِدم وسْم"(١)، وتتجلىٰ الاستعارة في قوله: (وجدِّدْ بك وبها عهدي فقد عفا منه رسْم، ولاحَ عليه للقِدم وسْم)، وهي استعارة مكنية؛ حيث شبه العهد بالبناء الذي لاح عليه القِدم، ثم حذف المشبه به وأقام المشبه مقامه، فجسد من خلالها العهد، وصوره في صورة حسية وهي صورة البناء المتهالك الذي محيت معالمه، وقد أبرز من خلاله الحالة النفسية الحزينة التي يعيشها ابن الدباغ إثر انقطاع أخبار المرسل إليه عنه، وهذا يبين مكانة المرسل إليه عنده.

وثمة موضع آخر تجلت فيه الاستعارة، وهو قول ابن الدباغ: "آياتُ مجدك ظاهرة، وأقمارُ سؤددك باهرة، والعيونُ إليها ناظرة، والهِممُ منها غائرة، وخطا الأيام عن نيلها قاصرة، وأقدامُ المساعي في مداها عاثرة"(٢)، فقد أراد أن يوضح المكانة العالية لممدوحه، فجسد مجده جاعلا له آيات ظاهرة، كما أبرز سؤدده في صورة سماء لها أقمار باهرة، وشخص الهمم وجعلها تغار من مجد الممدوح وتسعىٰ جاهدة للوصول إليه لكن دون جدوىٰ؛ حيث جعل خطا الأيام قاصرة عن نيل هذه المكانة، والأقدام التي تسعىٰ للوصول إلىٰ ذلك تتعثر في طريقها ولا يمكنها المضي قدما، وهكذا تعاونت الصور هنا في نقل المعاني في أبدع منظر، علىٰ نحو بعث في الرسالة الحياة، مما جعل المتلقي يعيش في جوها وينفعل بها.

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٩٥.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٩٧.

وهكذا يتبين أن أسلوب الاستعارة لدىٰ ابن الدباغ قام علىٰ ظاهرة التشخيص والتجسيد التي أضفت علىٰ النص حيوية وحركة، كما ساعد في استحضار الصورة ومثولها بين يدي المتلقي نابضة بالحركة مما كان له وقعه الفعال.

ثالثا: أسلوب "الكناية"[١]:

وهو أسلوب شيق من أساليب البلاغة، يتخطىٰ المعاني السطحية للألفاظ، ليعبر عن دلالات أعمق منها، مما يجبر المتلقي علىٰ سبر أغوار الألفاظ، والغوص في معانيها الكامنة للوصول إلىٰ المعنىٰ المراد، وقد تجلىٰ هذا الأسلوب في مواضع عديدة من رسائل ابن الدباغ، ومنها قوله: "وندامىٰ ترتاحُ لهم الشمولُ، وتتعطرُ بأرجِهم القبولُ، ويحسُدُ الضحىٰ عليهم الأصيل، ويقصرُ بمجالستهم الليلُ الطويلُ"[٢]، فقوله (ويحسُدُ الضحىٰ عليهم الأصيل، ويقصرُ بمجالستِهم الليلُ الطويلُ) كناية عن الاستئناس بهؤلاء الندامىٰ وسرور النفس بهم مما يجعل الوقت يمر معهم سريعا، وهذا يفصح عن مدىٰ مرارة إحساس ابن الدباغ بالوحدة، واحتياجه إلىٰ مثل هؤلاء الندامىٰ الذين يهونون عليه ما يلاقيه من المحن والخطوب.

كذلك برز أسلوب الكناية في قول ابن الدباغ: "كتابي وعندي من الدهرِ ما يهدُّ أيسره الرواسي، ويفتتُ الحجرَ القاسي"[٣]، فهذا كناية عن عظم ما يرميه الدهر به من المصائب والرزايا، ولا يخفىٰ ما تجسده هذه الكناية من مشاعر الحزن والألم التي تعتصر نفس ابن الدباغ.

---

(١) (الكناية: هي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع قرينة تمنع من إرادة المعنىٰ الأصلي) جواهر البلاغة ـ ص ٢٨٧.

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٣٠٥.

(٣) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٥٧.

كما يتجلىٰ أسلوب الكناية في قوله: "كيف أكتبُ أو أعبرُ، وبأي ذهنٍ أخبِّرُ وأستخبرُ، ومالي واللهِ يدٍ تجري بقلم"(١)، فقوله (ومالي والله يدٍ تجري بقلم) كناية عن انشغال ذهنه، وعدم استعداده للكتابة، وهذه الكناية تبرز حالة القلق والتوتر الشديد التي كان يعيشها ابن الدباغ.

أيضا من المواضع التي استعان فيها ابن الدباغ بأسلوب الكناية قوله: "رجعتُ عنها صفرَ الوطابِ، وحصلتُ علىٰ رقراقِ السّرابِ"(٢)، كناية عن خيبة رجائه وعدم تحصيله أي شيء مما سعىٰ إليه، وفيه تجسيد لما تنوء به نفسه من اليأس والإحباط.

كما برز أسلوب التصوير المعتمد علىٰ الكناية في قول ابن الدباغ: "أوحِش بأيام أقطعها وأفنيها، وأثواب عيش أخلقها وأبليها، بحيث لا أراك عيانًا، ولا أملك من أنديتك مكانًا، حتىٰ أعتز بك من هونٍ أغضي فيه علىٰ القذىٰ، وأصبر منه علىٰ حرّ المدىٰ"(٣)، يُظهر ابن الدباغ في هذه الفقرة شدة افتقاده لصديقه الذي يتحدث إليه؛ حيث إن قربه منه يهون عليه مرارة العيش، ويجعله أكثر تحملا لما يلاقيه من دهره، وقد استخدم أسلوب الكناية ليصور من خلاله هذا المعنىٰ، ويتجلىٰ ذلك في قوله: (أغضي فيه علىٰ القذىٰ)، فهذا كناية عن قوة التحمل رغم شدة الألم، فمن المعلوم أن دخول القذىٰ في العين يكون شديد الألم، والأشد منه إيلاما أن يغلق الإنسان عينه علىٰ هذا القذىٰ، فاستخدم ابن الدباغ هنا هذا التصوير المعتمد علىٰ الكناية لإظهار قوة تحمله رغم شدة إيلامه.

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٦٤.

(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٦٨.

(٣) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٥٤.

وثمة موضع آخر تجلت فيه الكناية، وهو قول ابن الدباغ: "بل كنتُ أشتهي أن أرىٰ نفسي بمنزلةِ من ألقىٰ العصا، وأمنَ روعةَ النوىٰ، وخيَّمَ مستوطنًا، واتخذ سُكنىٰ وسكنًا"(١)، فقوله (أشتهي أن أرىٰ نفسي بمنزلة من ألقىٰ العصا) كناية عن تمنِّيه الإقامة وترك السفر، وفيه إشارة إلىٰ عدم توفيقه للوصول إلىٰ مرامه، مما يضطره إلىٰ السفر والتنقل من ولاية إلىٰ أخرىٰ رغما عنه.

وهكذا يتضح الحضور المتميز للكناية من خلال تخطي الألفاظ لمعانيها الحقيقية، والتعبير بها عن دلالات عميقة، مما يجعل المعنىٰ أكثر تثبيتا، وأقوىٰ تأثيرا في نفس المتلقي.

رابعًا: التأثر بألفاظ القرآن الكريم ومعانيه، واستلهام التراث الأدبي وجمالياته:

المتأمل في رسائل ابن الدباغ يجده في كثير من الأحيان يعدل عن كلامه المعتاد، مستبدلا ذلك ببعض الآيات القرآنية، أو بعض الأبيات الشعرية التي جاءت بشكل ضمني، مصورا من خلالها مشاعره وأحاسيسه، مما يعمق المعنىٰ ويجعله أكثر تأثيرا في المتلقي، فكان لاستحضار الآيات القرآنية، وكذلك التراث الأدبي حضور قوي في معظم رسائل ابن الدباغ؛ حيث استدعىٰ بعض الآيات القرآنية تارة وبعض الأبيات الشعرية تارة أخرىٰ، مما أحاط أسلوبه بسياج من الجمال والجلال، فمن مواضع التأثر بالقرآن الكريم قول ابن الدباغ: "ما أظن أنَّ لدجىٰ حالي انبلاجًا، ولا لكربة نفسي انفراجًا، ولا إخال غمراتِ الهم تنجلي، ولا مدد النحوس تنقضي، ومن كانت له من الدنيا حظوة يصطفيها، ومكانة يستقر فيها، فليس لي منها إلا أن أرىٰ كيف تنقسم رتبها وتتناوب، وتتنازع نعمها وتتجاذب، وتغنم فوائدها وتتناهب، حتىٰ كأني جئتُ علىٰ العدد زائدًا، ولم أكن عند القسمة شاهدًا، فنبذت بالعراء، ولم يثبت اسمي

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٣١٣.

في جملة الأسماء، وما أقول هذا قول ساخط، ولا أيأس من رحمة الله يأس قانط، ولكن ربما استراح العليل في أنة، واستغاث المتوجع إلىٰ رنة، وخفَّف عن المصدور نفث، ونفَّس من وجد المكروب بث"(١)، اعتمد ابن الدباغ في هذه الفقرة من رسالته علىٰ الأسلوب الخبري، وهذا يتناسب مع ما تحمله الرسالة من معان؛ حيث أراد التنفيس عن نفسه بالإفصاح عما تكنه من حزن وأسىٰ، نتيجة لما تعرض له من إخفاق، وما لاقاه من كُرب، لعل هذه الكلمات تريح قلبه وتنفِّس عن صدره، والملاحظ أنه لم يجرِ فيه علىٰ وتيرة واحدة، بل نوَّع فيه، مستخدما أسلوب النفي بـ(ما أو لا، أو لم) تارة، نحو قوله: (ما أظن أن لدجىٰ...ولا لكربة نفسي...ولم أكن عند القسمة...)، وأسلوب القصر تارة ثانية، كما في قوله: (فليس لي منها إلا أن أرىٰ...)، وأسلوب التشبيه تارة أخرىٰ، كما يتضح من قوله: (كأني جئتُ علىٰ العدد...)، ولم يقف الأمر عند هذا الحد فحسب، بل تعداه إلىٰ استحضار قصة سيدنا يونس ـ عليه السلام ـ حين أُلقي من السفينة، مصورا من خلالها سوء حظه، رابطا بينه في سوء حظه وبين سيدنا يونس ـ عليه السلام ـ حين وقع عليه الاقتراع أكثر من مرة، وانتهىٰ الأمر بإلقائه في البحر لإنقاذ باقي ركاب السفينة، وقد تناص قول ابن الدباغ: (فنُبِذْتُ بالعراء) مع قول الله عز وجل:﴿ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [سورة الصافات: ١٤٥].

مما زاد من تعميق المعنىٰ وجعله أكثر تأثيرا في نفس المتلقي.

أيضا من المواضع التي يتجلىٰ فيها التأثر بكلام الله عز وجل، قول ابن الدباغ: "قد كنتُ أؤملُ هذا التلاقي، لأشكو فيه إليكَ دواهي بلغتْ بالنفوسِ التراقِي"(٢)، يفصح

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٦٦، وما بعدها.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٥٥.

ابن الدباغ هنا عن وقع الدواهي التي حلَّت به وأثر ذلك علىٰ نفسه، مستعينا باستدعاء التراث الديني؛ حيث استحضر قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة القيامة:٢٦]،. ليصور اللحظات العصيبة التي يعيشها، تلك اللحظات التي تشبه لشدتها سكرات الموت، ولا يخفىٰ أن استدعاء هذه الآية الكريمة ساعد في ترجمة إحساسه ومشاعره، وتقديمه للمتلقي علىٰ أكمل حال.

أيضا من المواضع التي استعان فيها ابن الدباغ باستحضار آية قرآنية، قوله: "ضاقتْ بي الأرضُ كلُّها، وانسدَّتْ عليَّ سُبُلُها"(١)، فهذه الفقرة تشير إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ [سورة التوبة:١١٨]،. وقد صور من خلال استدعاء هذه الآية الكريمة الحالة النفسية السيئة التي يعيشها.

كما يظهر استدعاء بعض الآيات القرآنية في قول ابن الدباغ: "ولكني واثق بأن يحيق بك سيء مكرك، فتذوق وبال أمرك"(٢)، يوجه ابن الدباغ هذا الخطاب لأحد الكائدين له الذي كان سببا في إحداث الوقيعة بينه وبين (المقتدر بن هود)، وقد استحضر هنا قوله تعالىٰ:﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ [سورة فاطر:٤٣]. وكذلك قوله تعالىٰ:﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦ﴾ [سورة المائدة:٩٥].

وقد كان لذلك أثره الفعال في تأكيد المعنىٰ؛ حيث نقله من الكلام البشري إلىٰ التهديد والوعيد الإلهي، مما جعل الأمر محتوما بإحاقة مكره به، والعاقبة الوخيمة المنتظرة له.

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٥٥.

(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٦٠.

كما يتجلىٰ استدعاء إحدىٰ الآيات القرآنية في قول ابن الدباغ: "ولعل الذي لم يزل يمتحني ليعلم كيف أصبر، وينظر أأشكر أم أكفر، أن يجعل لحالي إدالة"(١)، حيث أشار هنا إلىٰ قوله تعالىٰ:﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ ٤٠﴾ [سورة النمل: ٤٠].

جاءت هذه الآية الكريمة علىٰ لسان سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ وقد وضح من خلالها أنَّ فضل الله وعطائه للعبد يكون اختبارا له ليرىٰ مدىٰ شكره لتلك النعم أو كفرانه بها، وبالنظر إلىٰ قول ابن الدباغ السابق يتضح أنه جاء تعقيبا لما فيه من المحن، فهو يرىٰ أن المحن التي حلت به هي امتحان من الله ليرىٰ مدىٰ صبره، وينظر هل سيشكر أم سيكفر، والأصل أن الشكر يكون علىٰ النعم كما يتضح من الآية السابقة، بينما المناسب للمحن الصبر وليس الشكر، بيد أن ابن الدباغ جعل المحن تستوجب الشكر كالنعم، ولعله أراد أن يظهر بذلك مدىٰ رضائه عن قضاء الله تعالىٰ وأنه لم يكتف بالصبر عليه، بل سيشكر الله تعالىٰ علىٰ ما أصابه من المحن والبلايا لعل ذلك يكون سببا في رفع البلاء وتبدل الأحوال.

كذلك تجلت إحدىٰ الآيات القرآنية في قول ابن الدباغ: "وأنا – أبقاكم الله – فيها بحال من طاب غذاؤه، وَحَسُن استمراؤه، وصحا من جنون العقار، واستراح من مضض الخمار، وزايلته وساوسه، وخلصت من الخباط هواجسه، لا أبيتُ بليلة الشئس، ولا أقوم "كالذي يتخبَّطه الشيطان من المسِّ"، بل أنام ملء جفوني نوم مسرور"(٢)، يشرح ابن الدباغ في هذه الفقرة الحالة السعيدة التي أصبح عليها إثر

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٦١.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٨٢، وما بعدها.

انتقاله إلىٰ وادي الزيتون، هذا المكان الجديد الذي شعر فيه بالأمن والأمان، وقد جاء قوله: "كالذي يتخبَّطه الشيطان من المسِّ"، متناصًّا مع قوله تعالىٰ:﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾[سورة البقرة:٢٧٥]، وقد جسَّد من خلاله مفارقة بين حالة القلق والتوتر التي كانت مسيطرة عليه فيما مضىٰ، وحالة الأمن والأمان والاطمئنان التي أصبح عليها في ذلك المكان، وقد ساعد استدعاء التراث هنا علىٰ إيصال المعنىٰ للمتلقي علىٰ أكمل وجه.

أما استلهام التراث الأدبي فقد ظهر في الكثير من المواضع، ومنها قول ابن الدباغ: "كتابي وعندي من الدهر ما يهدُّ أيسره الرواسي، ويفتتُ الحجرَ القاسي، فأنا وإياه فرسا رهان: يجدُّ نوائبًا وأُجيدُ صبرًا"(١)، يتحدث ابن الدباغ هنا عن حال الدهر معه، مبينا مدىٰ عداوة الدهر له وعدم توقف حلول نوائبه عليه، وعلىٰ الجانب الآخر يبين مدىٰ صبره وشدة تماسكه أمام ما يلاقيه من نوائب الدهر، مصورا هذا المعنىٰ من خلال قول أبي العلاء المعري: (من البحر الوافر)

غَـــدَوْتُ وَرَيْبُـــهُ فَرَسَـــيْ رَهَـــانٍ يُجِيـــدُ نوائبًـــا وأُجِيـــدُ صَـــبْرًا(٢)

واستحضار هذا البيت هنا قد جسد المعنىٰ الذي أراده ابن الدباغ في صورة مليئة بالحركة والحيوية مما كان له وقعه في تقوية المشاركة الوجدانية بينه وبين المتلقي.

كذلك من المواضع التي صور فيها ابن الدباغ المعنىٰ من خلال استدعاء التراث الأدبي، قوله: "فالدهر ليس بمعتب من يجزع ولا بمشفق علىٰ من توجع"(٣)، جاءت هذه الفقرة ضمن رسالة يشكو فيها زمانه، وهو يوضح هنا أنه لا فائدة من هذه

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٥٧.

(٢) اللزوميات ـ أبو العلاء المعري ـ ت/ أمين عبد العزيز الخانجي ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ د.ط ـ د.ت ـ جـ١ ـ ص٣٦٤.

(٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٥٨.

الشكوىٰ فهي لا تغير شيئا؛ لأن الدهر لا يمكن استرضاؤه لإعادة ما أخذه، وقد حلَّ هذا المعنىٰ من قول (أبي ذؤيب الهذلي) في رثاء أبنائه: (من البحر الكامل)

أَمِـــنَ المَنُـــونِ وَرَيْبِهـــا تَتَوَجَّـــعُ والـدهرُ لـيسَ بِمُعْتِـبٍ مَـن يَجْـزَعُ(١)

وقد ساعد استدعاء هذا البيت في تجسيد معاناة ابن الدباغ، وتكثيف معاني الأسىٰ والتوجع لديه؛ حيث ارتبط هذا البيت بفاجعة كبرىٰ وهي فقد أبي ذؤيب الهذلي لخمسة من بنيه في وقت واحد، فاستعان به ابن الدباغ لتجسيد معاناته، ولا يخفىٰ ما أحدثه استدعاء التراث هنا من تمييز الأسلوب وإضفاء مسحة جمالية عليه.

كما جاء استدعاء التراث الأدبي في قول ابن الدباغ: "فأعجب يا سيدي لأمم، ضحكت من جهلها الأمم، وغلطت في ما لا تغلط فيه النعم"(٢)، تحمل هذه الفقرة في طياتها سخرية وجهها ابن الدباغ لأحد الأشخاص الذي وضع نفسه في مكانة عظيمة تفوق أي مكانة، بينما يشهد الواقع بعكس ذلك، لذا وجَّه إليه ابن الدباغ هذا القول الذي استدعىٰ فيه بيتا لـ(أبي الطيب المتنبي) علىٰ سبيل السخرية والتهكم؛ حيث تضمَّن قوله: "فاعجب يا سيدي لأمم، ضحكت من جهلها الأمم" الشطر الثاني من قول المتنبي: (من البحر البسيط)

أَغَايَـــةُ الـــدينِ أنْ تُحفُـــوا شَـــوَارِبَكُم يـا أمـةً ضَـحِكَتْ مِـن جَهْلِهَـا الأمَـمُ(٣)

ولا يخفىٰ ما أضفاه استدعاء التراث الأدبي هنا من تصوير المعنىٰ بصورة أكثر عمقا وتأثيرا، فضلا عما أضفاه علىٰ الأسلوب من شعرية وجمال.

---

(١) ديوان أبي ذؤيب الهذلي ـ ت/ أحمد خليل الشال ـ مركز الدراسات والبحوث الإسلامية ـ بور سعيد ـ ط١ ـ ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م ـ ص٤٧.

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٩٦.

(٣) ديوان المتنبي ـ أبو الطيب المتنبي ـ دار بيروت للطباعة والنشر ـ بيروت ـ د.ط ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ـ ص٥٠٢.

أيضا برز أسلوب التصوير من خلال استلهام التراث الأدبي في قول ابن الدباغ: "إذا أسيتُ لفراقكَ فإنَّ في الباكين حولي تسليًا، أو جزعتُ من رحلتك فإن في المصابين معي تعزِّيًا"(١)، كتب ابن الدباغ هذه الفقرة ضمن رسالة يرثي فيها أحد أصدقائه وأحبابه الذين فارقوه مبينا مدىٰ وقع فراقه علىٰ نفسه وما تركه ذلك من حزن وأسىٰ مستحضرا بيتا للخنساء قالته في رثاء أخيها صخر، مصورا من خلاله حزنه علىٰ المرثي، وهو قولها: (من البحر الوافر)

وَلَـــولا كَثْـــرَةُ البَـــاكِينَ حَـــوْلِي ... علـىٰ إخْـــوَانِهم لقَتَلْـــتُ نَفْسِـــي(٢)

وعلىٰ ضوء ما سبق يتضح الأسلوب التصويري المتميز لابن الدباغ في رسائله؛ حيث الحضور القوي للاستعارة والتشبيه والكناية مما جعل رسائله أشبه بلوحة فنية بديعة، وقد اتخذ من تلك الأساليب التصويرية وسيلة لأداء المعنىٰ أداء يموج بالحركة والحيوية، فجعل الكلمات تستحضر الصورة وتنقلها للمتلقي نقلا حيا نابضا بالحركة مما كان له أكبر الأثر في النفس، كما تتضح أسلوبية التصوير من خلال استدعاء التراث، مما شكَّل ظاهرة أسلوبية دلالية تجلت في معظم رسائل ابن الدباغ، وقد دلت علىٰ عظيم مكانته الأدبية وسعة ثقافته، وهذا بدوره أضفىٰ علىٰ رسائله هالة من الجلال والجمال كان لها تأثيرها الفاعل في نفس المتلقي.

ولم يقتصر الإبداع الفني لدىٰ ابن الدباغ علىٰ اختيار أساليبه التركيبية، والإيقاعية، والتصويرية فحسب، وإنما تخطاها إلىٰ انتقاء معجمه اللغوي بعناية فائقة كما سيوضحه المبحث القادم بإذن الله تعالىٰ.

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٩٨.

(٢) ديوان الخنساء ـ شرحه/ حمدو طماس ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٢ ـ ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م ـ ص٧٢.

المبحث الرابع: المعجم اللغوي لدى ابن الدباغ ومواءمة مفرداته للسياق

مما لا شك فيه أن الألفاظ هي التي تترجم ما يجول في نفس الأديب من معان وأفكار، وبقدر ما يوفق الأديب في اختيار ألفاظه وانتقائها بعناية بقدر ما يوفق في إيصال مشاعره وأفكاره للآخرين، ولْنَرَ مدىٰ توفيق ابن الدباغ في انتقاء ألفاظه لترجمة مشاعره وتجسيد حالته النفسية، ويتجلىٰ المعجم اللغوي في رسائل ابن الدباغ من خلال هيمنة بعض الألفاظ علىٰ النص النثري، التي يحاول من خلالها بث حالة شعورية معينة يعيشها قصد مشاركة المتلقي له في هذه الحالة، والمتتبع لرسائل ابن الدباغ يجد المعجم اللغوي لها يدور حول عدة "حقول دلالية"[(١)]، منها حقل الحزن والتشاؤم، وحقل السعادة والتفاؤل، وحقل الطبيعة، علىٰ نحو ما سيتضح، بيد أن الأمر لم يقف عند هذا الحد، وإنما المتتبع لرسائل ابن الدباغ يجد ظاهرة أسلوبية قد تميزت بها معظم رسائله علىٰ المستوىٰ المعجمي، وهي ظهور بعض الحقول المعجمية التي تجاوزت معناها الحقيقي لتشكل معجما جديدا استطاع ابن الدباغ أن يبث من خلالها مشاعره وأحاسيسه، وسوف تبدأ الباحثة في عرض الحقول الدلالية التي جاءت متطابقة في معناها اللغوي للمشاعر والأحاسيس التي أراد ابن الدباغ التعبير عنها مما يضفي عليها سمة الصدق الذي يكون له أعظم الأثر في التأثير علىٰ المتلقي إقناعا ومشاركة وجدانية، وهي كالآتي:

---

(١) "الحقول الدلالية: هي مجموعة من الكلمات التي ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها" علم الدلالة ـ عمر أحمد مختار ـ منشورات عالم الكتب ـ القاهرة ـ ط٣ ـ ١٩٩٤م ـ ص٧٩.

• **حقل الحزن والتشاؤم:**

عاش ابن الدباغ حياة قلقة غير مستقرة، فرغم بلوغه أعلىٰ المناصب إلا أن الأيام لا تدوم علىٰ حال، فحدث ما يضطره إلىٰ ترك منصبه بل والنفي خارج بلدته، وما يكاد يستقر في بلدة أخرىٰ ويتقلد فيها من المناصب ما تقر به عينه، إلا ويحدث له ما حدث سابقا، مما جعله يفقد الثقة بالناس والمجتمع، ويعيش حالة من الحزن والتشاؤم، وقد انعكس ذلك كله علىٰ ألفاظه، فنجدها مصبوغة بصبغة الحزن والأسىٰ والتشاؤم والقلق، ويمثل ذلك عدة ألفاظ ظهرت في معظم رسائله منها: (أشكو ـ دواهي ـ التراقي ـ المنايا ـ سوء ـ ضاقتْ ـ انسدتْ ـ يأس ـ تهالك ـ ممزقا ـ غرقا ـ عثرة ـ عاديًا ـ مكروهه ـ حرمان ـ عدوان ـ رميِهِ ـ أذايتِهِ ـ بغيِهِ ـ معاير ـ جوره ـ الظلم ـ أسخط ـ أتشكىٰ ـ شدائد ـ غمٍ ـ نكد ـ ضيق ـ الحِمام ـ الوفاة ـ العذاب ـ كُرَبٍ ـ محنة ـ ابتلىٰ ـ كُربة ـ الهم ـ النحوس ـ ساخط ـ قانط ـ أنة ـ المتوجع ـ المصدور ـ المكروب)، وقد جسدت تلك الألفاظ حالة الحزن العميق واليأس الشديد التي تغلف حياة ابن الدباغ، مما خلق حالة من التعاطف والمشاركة الوجدانية بينه وبين المتلقي.

فلم تكن حياة ابن الدباغ بالحياة السلسة، وإنما لاقىٰ فيها الكثير من الصعوبات والأزمات رغم اجتهاده وسعيه لبلوغ أعلىٰ الدرجات إلا أنَّ ترصد أعدائه به كان دائما يحول بينه وبين بلوغ آماله، مما جعله كثير الشكوىٰ، والضجر، وقد انعكس ذلك علىٰ اختياره للألفاظ التي تحمل معاني الشكوىٰ والضجر والأنين، والتشاؤم، ومن ذلك رسالته التي يقول فيها: "قد كنتُ أؤَمِّلُ هذا التلاقي، لأشكو فيه إليك دواهي بلغت بالنفوس التراقي، وصيرت المنايا أماني، فمن لي الآن به وبوصولي إليك حيث أنت، ودونك ما لا يخفىٰ عليك، وقد عرض الماء لعيني فكيف أرِدُ، ومن أين أقصد، الله حسبي في سوء جَدِّي، وأنت وليُّ عذري في الحضور بالمكاتبة إذ لم أجدْ سبيلاً إلىٰ

المشافهة، ولا أكذبك، ضاقتْ بي الأرض كلها، وانسدتْ علي سبلها، وضللتُ عن كل عزاء وتماسُك، وأُسلمتُ إلىٰ كل يأسٍ وتهالك، فتدارِكني ممزقًا، ونجِّني غرقًا، وأخطرني ببالك، واعرضْ حالي علىٰ اهتبالك عسىٰ أن يتجه للفرجِ وجهة أو يلوح عنه فجر"(١)، جاءت هذه الرسالة في شكوىٰ الزمان، والمتدبر لألفاظها يجد معظمها يدور حول الشكوىٰ والأنين، من ذلك قوله: (أشكو ـ دواهي ـ التراقي ـ المنايا ـ سوء ـ ضاقتْ ـ انسدتْ ـ ضللتُ ـ أُسلمتُ ـ يأس ـ تهالك ـ ممزقا ـ غرقا)، فقد تآزرت تلك الألفاظ لإبراز حالة الشكوىٰ التي يعانيها ابن الدباغ، مما ساعد في تقوية المشاركة الوجدانية بينه وبين المتلقي.

أيضا من المواضع التي برزت فيها ألفاظ الشكوىٰ والأنين قوله: "كتابي والحال علىٰ ما أسأل الله لها تبديلاً وإدالة، ولعثرة الجد فيها استقلالاً وإقالة، ولستُ أشكو إلا زماني وقعوده بجدي، وقبيح آثاره عندي، فإنه وإن كان علىٰ الكل عاديًا بكأس مكروهه ساقيًا، فيخصني بمزية حرمان، ويتوخاني بفضلة عدوان، ويجعلني نصب سعيه، وغرض رميه، ومكان أذايته وبغيه، حتىٰ كأني أبديت له معاير، وأدرتُ عليه دواير، ودللت العالم علىٰ جوره في الحكم، وتطبُّعه في الظلم، وحسبي الله تعالىٰ فيما أسخط وأرضىٰ، ومع ما ذكرته فلي من الصبر جانب، وإن حميت منه جوانب، ومعي من التجمُّل بقية وإن سلبتْه السوالب"(٢)، جاءت هذه الرسالة في شكوىٰ الزمان أيضا، وتتآذر فيها المفردات والألفاظ لتكشف عن غرض ابن الدباغ من هذه الرسالة؛ حيث يموج معظمها بالشكوىٰ والضجر نحو قوله: (عثرة ـ أشكو ـ قبيح ـ عاديًا ـ مكروهه ـ حرمان ـ عدوان ـ رميه ـ أذايته ـ بغيه ـ معاير ـ أدرت ـ دواير ـ جوره ـ الظلم ـ أسخط ـ

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٥٥.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٥٨، وما بعدها.

سلبتْه ـ السوالب)، وقد كان لهذه الألفاظ دورها الفعال في تجسيد الحالة النفسية السيئة التي يعيشها ابن الدباغ في ذلك الحين؛ حيث جاءت مليئة بالشحنات العاطفية والوجدانية التي أثرت في نفس المتلقي، وجعلته يرثي أبلغ الرثاء لحال ابن الدباغ، ويأسو أشد الأسىٰ لمآله.

ومن رسائل ابن الدباغ التي تجلت فيها ألفاظ الشكوىٰ والأنين قوله: "ليت شعري متىٰ أفتتح بالرضىٰ، وهل أكتب وقتًا من الدهر ولا أتشكىٰ، فإني أحمد الله علىٰ حياة أقطعها في شدائد لا تنثني، وسكراتِ غمٍ لا تنجلي، ونكد أخلاقٍ لا يشوبه ابتهاج، وضيق أحوال لا يتخللها انفراج، ولئن كان باقي العمر كماضيه، وعوائد العيش كبواديه، فالحِمام أعذب موردًا والوفاة أحسن مشهدًا، فليس بعد هذا العذاب ما هو أشد، فلكل شيء مدىٰ ينتهي إليه وحد؛ فسبحان من جعل الدنيا دار كربٍ ومحنة، لكل ذي لبٍّ وفطنة، ومقام تنعمٍ وترف، لكل ذي خستٍ ونطف، وسبحان من ابتلىٰ فيها ذوي الفضل والنهىٰ بكل قَعِطٍ بنفسه، ويستشرفُ من سماء المجد، ويلتف في جُعْسِهِ، ويستقذرُ عنبرَ الهند"(١)، يستحضر ابن الدباغ ألفاظ الشكوىٰ هنا بكثرة، وقد جاءت محملة بمعاني الحزن والأسىٰ نحو قوله: (أتشكىٰ ـ شدائد ـ غمٍ ـ نكد ـ ضيق ـ الحِمام ـ الوفاة ـ العذاب ـ كربٍ ـ محنة ـ ابتلىٰ ـ قَعِطٍ) فقد عكست هذه المفردات ما تكنه نفس ابن الدباغ من حزن دفين وألم عميق، وأوجدت نوعا من التعاطف والمقاسمة الوجدانية بينه وبين المتلقي.

أيضا ظهرت ألفاظ الشكوىٰ بكثرة في قول ابن الدباغ: "ما أظن أن لدجىٰ حالي انبلاجًا، ولا لكربة نفسي انفراجًا، ولا إخال غمراتِ الهم تنجلي، ولا مدد النحوس تنقضي، ومن كانت له من الدنيا حظوة يصطفيها، ومكانة يستقر فيها، فليس لي منها

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٦٥.

إلا أن أرىٰ كيف تنقسم رتبها وتتناوب، وتتنازع نعمها وتتجاذب، وتغنم فوائدها وتتناهب، حتىٰ كأني جئتُ علىٰ العدد زائدًا، ولم أكن عند القسمة شاهدًا، فنُبذتُ بالعراء، ولم يثبت اسمي في جملة الأسماء، وما أقول هذا قول ساخط، ولا أيأس من رحمة الله يأس قانط، ولكن ربما استراح العليل في أنة، واستغاث المتوجع إلىٰ رنة، وخفف عن المصدور نفث، ونفَّس من وجد المكروب بث"(١)، يلاحظ هنا هيمنة ألفاظ الشكوىٰ علىٰ معظم الرسالة مما يعكس الحالة الشعورية التي يعيشها ابن الدباغ، ومن ذلك قوله: (كربة ـ غمراتِ ـ الهم ـ النحوس ـ فنُبذتُ ـ ساخط ـ أيأس ـ يأس ـ قانط ـ أنة ـ المتوجع ـ المصدور ـ المكروب) فقد تعاونت هذه المفردات وتكاتفت جميعها للكشف عن مشاعر اليأس والحزن التي سيطرت علىٰ نفس ابن الدباغ جرَّاء تعرضه للكثير من المحن، والأزمات، وقد ساعدت هذه المفردات في خلق نوع من التعاطف والمشاطرة الوجدانية بينه وبين المتلقي.

- **حقل السعادة والتفاؤل:**

علىٰ الرغم مما يخيم علىٰ حياة ابن الدباغ من الحزن والأسىٰ، فتجده أحيانا يتوفر لديه من أسباب السعادة ما يشرح صدره، ويزيل همه وغمه، كمراسلة بعض أصدقائه له برسالة يخبره فيها بعفو (المقتدر بن هود) عنه، مما شرح صدره وأسعد قلبه فانعكس ذلك علىٰ ألفاظه فجاءت تموج بالسعادة والتفاؤل والرضا، ومعظم ألفاظ السعادة التي ظهرت عند ابن الدباغ كانت في رسائله الإخوانية، ومن ذلك رسالته التي يقول فيها: "ورد جوابك الكريم فنفَّس من كربتي، وآنِسْ من وحشتي، وروَّح عن قلبي الأسىٰ، ووصل بين طرفي والكِرىٰ، بما أطلعته علي من الفرحة المستمطرة، والبشرىٰ المنتظرة، في سكون ضجر المقتدر بالله وغضبته، ونزوله عن أكثر عتبهِ

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٦٦، وما بعدها.

وَمَوْجَدَتِهِ وامتنانه بالقبول لإنابتي، والإصغاء إلىٰ استلطافي واستلانتي"(١)، جاءت هذه الرسالة ردًّا علىٰ رسالة أرسلها إليه أحد إخوانه يخبره فيها بعفو (المقتدر) عنه، ويلاحظ علىٰ هذه الرسالة شيوع ألفاظ البهجة والسرور، فتجد الألفاظ التي تحمل التفاؤل والسعادة تتكاتف جميعها لإبراز الحالة النفسية الحسنة لدىٰ ابن الدباغ عند سماعه لهذا الخبر السار، ومن تلك الألفاظ قوله: (نفَّس، آنس، روَّح، الفرحة، المستمطرة، البشرىٰ، المنتظرة، امتنان، القبول، استلطافي، استلانتي)، وقد جسدت تلك الألفاظ حالة الفرح والسرور التي سيطرت علىٰ ابن الدباغ جرَّاء عفو (المقتدر) عنه.

كذلك طلّت علينا ألفاظ السعادة والتفاؤل من رسالته التي يقول فيها: "كتابي من قرطبة، وقد وردتُها بحمد الله علىٰ رحبٍ وَسَعَةٍ، وأخلدتُ منها إلىٰ سكونٍ ودعةٍ، وذهبتْ بحمد الله تلك الحيرةُ، وانجلتْ تلك الغمرةُ، واستقالَ الجدُّ من عثاره، ولاحَ قمرُ السعدِ بعد سِرارِهِ"(٢)، فهنا يفصح ابن الدباغ عن بهجته وسروره بانتقاله إلىٰ قرطبة، هذا المكان الجديد الذي يبدو أنه تحققت فيه بعض آماله كتقلده أحد المناصب المرموقة، وقد انعكست سعادته هذه علىٰ اختيار مفرداته وألفاظه فجاءت جميعها تضج بالسعادة والبهجة، ومنها قوله: (رحبٍ ـ سَعَةٍ ـ سكونٍ ـ دعةٍ ـ انجلتْ ـ قمرُ ـ السعدِ) ولا يخفىٰ ما حملته هذه الكلمات من وقع طيب علىٰ نفس المتلقي ومن إدخال البهجة والسرور عليه حتىٰ يكاد يلهج لسانه بحمد الله علىٰ انكشاف تلك الغمة عن ابن الدباغ.

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٧٥.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٩٣.

ومن ذلك أيضا قول ابن الدباغ في إحدىٰ رسائله: "قد كنتُ – أعزّكَ الله – متمنيًا لهذه الأيام، كما يتمنىٰ في المحل صوب الغمام، ومنتظراً لظهورك فيها، كانتظار النفس أعذب أمانيها ولما أطلعت طلائعها السعود، واستمر بك الارتقاء والصعود قلتُ لنفسي: بشراكِ، أسعفكِ الدهرُ بمناك، وسرَّك في بعض أعزتكِ وأرضاكِ، الآن آن للنحوسِ أن تُدبرَ عنكِ إدبارَ المنهزمِ، وللنوائبِ أن تحذرَ منك سطوةَ المنتقم، وأذني في الاصغاء، إلىٰ ما يطرأ من الأنباء، فلا تنفك مُبهجة الأخبار ترىٰ، ومُثلجة المسارّ تتناصر وتتوالىٰ، وكلما قيل قرعَ من الجاه ذِروة، واستجد من العز كسوة، سرت العزة في خلدي، وطالت علىٰ النوب يدي، وحين صح تمكُّنك عندي، انبسطتْ إلىٰ مخاطبتك نفسي، مذكرة لك في تنويهي وغرسي، إن صادفتَ من الزمان إسعادًا، وملكتَ من إحدىٰ الممالك قيادًا؛ علىٰ أنك لا تنسيه المعارفَ حالٌ، ولا يلهيه عن الجميل إقبالٌ، ولو استقل بك السرير، ودان لك الخورنق والسدير؛ ليأمن مسألتي الدهر المحيل فقد حسبني أحاوله، أم أي حظ أجزل من إقبالك عليَّ أتناوله؟ كلا والله، ما أسأل وقد نلتُ الرضىٰ، ولا أجري بعد أن بلغتُ المدىٰ، حسب يدي وما علقتْ، ولتقتنعْ نفسي بما رزقتْ، فلكل طلابٍ غاية، وللظفر بالمنىٰ راية"[1]، يبدو أن ابن الدباغ كتب هذه الرسالة لتهنئة أحد أحبابه بما وصل إليه من منصب مرموق، وقد شرح فيها أثر ذلك علىٰ نفسه من السعادة والرضىٰ، حيث أحيت الآمال عنده، وأعادت إليه بعض التفاؤل والاستبشار بتحقيق الآمال، والمتتبع للمعجم اللغوي لهذه الرسالة يجده يدور حول حقل السعادة والتفاؤل، يتجلىٰ ذلك في قوله: (أعذب ـ أمانيها ـ السعود ـ الارتقاء ـ الصعود ـ بشراكِ ـ أسعفكِ ـ بمناك ـ سرَّك ـ أعزتكِ ـ أرضاكِ

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٨١.

ـ مُبهجة ـ مُثلجة ـ المسار ـ العز ـ العزة ـ انبسطت ـ إسعادًا ـ الرضىٰ ـ رزقت ـ الظفر ـ المنىٰ) هذه المفردات التي تكاتفت في الكشف عما تكنه نفسه من سرور وسعادة.

كما يتجلىٰ المعجم اللغوي لألفاظ السعادة والتفاؤل في رسالته التي يقول فيها: "وقفتُ علىٰ كتاب من لدنك قد اشتمل علىٰ كل برّ وحَفاية، وإشفاقٍ ورثاية، وتسليةٍ تُذهلُ عن سوءِ الحالِ، وتَعِدُ علىٰ الأيام بضمان إقبال، فذهب مُسْتَودَعُهُ بغمةِ النفسِ، وأدال من الوحشةِ بالأنسِ، وغلبَ الرجاءَ علىٰ اليأسِ وظلتْ حشاشةُ الهمة تتراجع وخفضةُ الأمل تترافع، حتىٰ كاد هذا يستقيل من عثار، وتلك تُنشر بعد إقبار، وليس هذا بأول انطباق أعتم فطلعت له من تأنيسك مصابيح، ولا بأول غلق استبهم فتداركته من ألطافك مفاتيح، بل هي لبيض أياديك شوافع، ولسوالف مشاركتك توالٍ وتوابع"(١)، فقد كتب ابن الدباغ هذه الرسالة ردًّا علىٰ رسالة أرسلت إليه من أحد أصدقائه تحمل إليه بعض البشارة، فأجاب عنها بما ينبئ عن عظيم سروره وسعادته بتلك البشارة، وقد ساعد المعجم اللغوي لهذه الرسالة علىٰ ترجمة مضمونها؛ حيث دارت معظم مفرداتها حول حقل السعادة والتفاؤل، ومن ذلك قوله: (برّ ـ حَفاية ـ رثاية ـ تسليةٍ ـ إقبال ـ الأنسِ ـ الرجاءَ ـ الأمل ـ تأنيسك ـ مصابيح ـ ألطافك) مما يعكس مشاعر الغبطة والسرور التي يكنّها الأديب.

- **حقل الطبيعة، وثراؤه بالمفردات التي تعبر عن معاني الانشراح والابتهاج:**

تميزت بلاد الأندلس بطبيعتها الساحرة، وجوَّها الخلاب، فكان من الطبعي أن يتأثر الأدباء بهذه الطبيعة، فينعكس صداها علىٰ ألفاظهم، والمتتبع لرسائل ابن الدباغ يجد ذلك جليا، كما يتضح من رسالته التي يقول فيها: "كتابي هذا من وادي الزيتون، ونحن فيه محتلون، ببقعة اكتستْ من السندس الأخضر، وتحلتْ بأنواع الزهر،

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٩٥.

وتحايلتْ بأنهار تتخللها، وأشجارٍ تظللها، تحجبُ أدواحُها الشمسَ لالتفافها، وتأذنُ للنسيم فيميل من أعطافها، وما شئتم من محاسن تروقُ وتُعجِب وأطيارٍ تتجاوبُ بألحانٍ تُلهي وتُطرِب، في مثله يعودُ الزمانُ كلُّه صِبا"(١)، جاءت هذه الفقرة ضمن رسالة خاطب بها ابن الدباغ أحد إخوانه يصف له فيها حُسن وادي الزيتون وجماله، هذا المكان الساحر الذي توفرت فيه كافة الأشياء التي جعلت منه مكانا بديعا ساحرا؛ حيث الخضرة، والأشجار، والزهر المتنوع الفتان، والأنهار الجارية، والجو العطر، والنسيم العليل، ويلاحظ أن افتتانه وإعجابه بهذا المكان قد انعكس علىٰ ألفاظه؛ حيث تخير من الطبيعة بعض الألفاظ التي تتناسب مع غرضه، ومن ذلك قوله: (وادي، الزيتون، السندس، الأخضر، الزهر، أنهار، أشجار، الشمس، النسيم، محاسن، تروق، تعجب، أطيار، ألحان، تلهي، تطرب، صبا)، وقد جسدت تلك الألفاظ افتتانه وإعجابه بهذا الوادي، ويبدو أن ابن الدباغ كان يعيش حالة من السعادة والاستقرار النفسي إثر انتقاله إلىٰ هذا المكان الجديد، ربما لبلوغة بعض المناصب أو تحقيقه بعض الآمال، مما جعله يلجأ للطبيعة يصف حسنها وجمالها عاكسا بذلك ما تكنه نفسه من سرور، وسعادة في ذلك الوقت.

كذلك يتجلىٰ استحضار ابن الدباغ الألفاظ التي تعبر عن هذه الطبيعة الغناء، في رسالته التي يقول فيها: "طلع علينا هذا اليوم فكاد يُمطر من الغضارة صحوُهُ، ويَعشىٰ من الإنارة جوُّهُ، ويُحيي الرميمَ اعتدالُهُ، ويُصبي الحليمَ حسنُهُ وجمالُهُ، فلفتنا زهرتُهُ، ونظمتنا بهجتُهُ، في روضة خلعتْ عليها السماءُ سبائِبَها، ونثرتْ علينا كواكبها، ووفد عليه النعمانُ بشقيقه، واحتل فيه الهندُ بخلوقه، وبكَّر إليه بابل برحيقه، فالجمالُ

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٨٢.

يُشخص لحسنه طرفَه، والنسيمُ يهزُّ لأنفاسه عطفَه وتمنينا – أعزك الله ـ أن يتبلج صُبحك من خلال فروجه، وتحلَّ شمسك في منازل بُرُوجه، فإن رأيتَ أن تُطلع علينا الأُنسَ بطلوعك وتُهدي الفرحَ بوقوعك، فلن تَعدم نورًا يحكي شمائلك طيبًا وبهجة، وراحًا تُخال خِلالك صفاءً ورقةً، وألحانًا تُثيرُ أشجانَ الصبِّ، وتبعثُ أطرابَ القلبِ، وندامىٰ ترتاحُ لهم الشمولُ، وتتعطر بأرجهم القبولُ، ويحسدُ الضحىٰ عليهم الأصيل، ويقصُرُ بمجالستهم الليل الطويل"[1]، يصف ابن الدباغ هنا أحد أيام الأنس التي قضاها في صحبة بعض إخوانه وأحبابه، ويلاحظ علىٰ هذه الرسالة استحضار ألفاظ الطبيعة بكثرة، متخيرا منها الألفاظ المبهجة التي تعكس شعوره بالتفاؤل والرضا؛ حيث يبدو من تلك الألفاظ أن هذا اليوم كان يحمل ذكريات طيبة مرَّت بابن الدباغ، فأراد استرجاعها ربما تسلية لنفسه، أو بعثا للأمل والتفاؤل ليتجاوز من خلالها ما حل به من كُرب، ومِحن، فكانت الطبيعة هي الملاذ الذي لجأ إليه للبوح عما يختلج صدره من مشاعر وأحاسيس، ومن تلك الألفاظ قوله: (يُمطر ـ الغضارة ـ صحوُهُ ـ جوُّهُ ـ اعتدالُهُ ـ زهرتُهُ ـ روضة ـ السماءُ ـ كواكبها ـ بشقيقه ـ برحيقه ـ النسيمُ ـ شمسك ـ الضحىٰ ـ الأصيل ـ الليل)، فقد تعاونت تلك الألفاظ، وتكاتفت جميعها للتعبير عن مشاعر الغبطة والسرور التي تغمره.

وعلىٰ ضوء ما سبق يتبين أن ابن الدباغ قد اتخذ من الطبيعة ملاذا يلجأ إليه للبوح عن بعض مشاعره وأحاسيسه، وكأنها أصبحت معادلا موضوعيا له، وقد ارتبط وصف الطبيعة لديه بمشاعر الغبطة والسرور.

وبالنظرة الفاحصة المتأنية في رسائل ابن الدباغ يتبين أن المعجم اللغوي لديه لم يتوقف عند الحقول الثلاثة السابقة، بل إنه أسفر عن عدة حقول فرعية قد استعان بها

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٣٠٥.

ابن الدباغ متخطيا معناها الحقيقي، معبرا من خلالها عما تكنه نفسه من مشاعر وأحاسيس، مما شكَّل معجما لغويا جديدا خاصا به، ومن ذلك حقل الأعداد، وحقل أدوات الحرب، وحقل ألفاظ النار وما يتعلق بها، وكذلك حقل الطبيعة الذي بدا في بعض المواضع بشكل مختلف عن الشكل الذي تم الحديث عنه سابقا، كما سيتضح.

أولا: حقل الأعداد:

ظهرت بعض الأعداد في رسائل ابن الدباغ وقد استعان بها للتعبير عن بعض مشاعره وأحاسيسه متجاوزا المعنىٰ المعجمي لها، مما كان له أثره الفعال لدىٰ المتلقي، ومن ذلك قوله: "كلما رمتُ وِجهة فأتيتها من أقصد مذهب، وتناولتها بألطف مرغب، حتىٰ تخيل لي أن أبيها قد أسمح، وحميد السعي فيها قد أنجح، رجعتُ عنها صفر الوطاب"(١)، فقد استخدم العدد (صفر)، في التعبير عن خيبة أمله، وعدم تحصيله أي شيء مما سعىٰ إليه، متجاوزا بذلك معناه الحقيقي، مما كان له أكبر الأثر في إثارة المتلقي وإعمال ذهنه بحثا عن المعنىٰ المراد.

كما ظهر استخدام الأعداد في موضع ثان، وهو قول ابن الدباغ: "فشملنا جميعٌ وإن تصدَّع، وشعبنا واحدٌ وإن تنوَّع"(٢)، حيث ظهر العدد (واحد) في هذه الفقرة، وقد استخدمه ابن الدباغ هنا ليعبر من خلاله عن قوة الاتحاد بينه وبين صديقه الذي يخاطبه، مما كان له أقوىٰ التأثير في كسب مشاعر هذا الصديق.

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٦٨.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٩٨.

كذلك ظهر العدد (ثلاثا) في قول ابن الدباغ: "فلتبعد بعدها الخمرُ ما بقي الدهرُ، فقد طلقتها ثلاثًا، وتركتُ الأسبابَ بيني وبينها رِثاثًا"(١)، فقد استخدم العدد (ثلاثا) ليؤكد من خلاله استحالة رجوعه للخمر مرة أخرىٰ.

كما تبدَّىٰ العدد (ألف) في قول ابن الدباغ: "فإني زاهدٌ في قراءة كتابك، غيرُ نشطٍ لما يرد منك ومن سواك، ولو راجعتم عما أكتبُ بالضعفِ، عن كل سطرٍ بألف"(٢)، فقد استخدم ابن الدباغ هنا العدد (ألف) متخطيا به معناه الحقيقي، مؤكدا من خلاله موقفه من زهده في قراءة كتاب هذا الصديق الذي يخاطبه.

ثانيا: حقل أدوات الحرب:

ظهرت عدة ألفاظ في مواضع عديدة من رسائل ابن الدباغ تحمل معاني أدوات الحرب، كالسهام والأسنة والحراب، ونحوها، بيد أن المثير في الأمر أن ابن الدباغ لم يأت بها بالمعنىٰ الحقيقي لها، وإنما قصد معنىٰ آخر جاء مختفيا وراءها يحمل بعض المشاعر التي يكنها ابن الدباغ كما سيتضح، ومن ذلك قوله: "وأسلمتُ لأسنتهم وسهامهم بلا جنة"(٣)، يتحدث ابن الدباغ هنا عن الواشين الذين أوقعوا بينه وبين (المقتدر)، وأوغروا صدره عليه، ويلاحظ أنه قد استخدم لفظان من الألفاظ التي تدل علىٰ أدوات الحرب، وهما (الأسِنَّة، والسِهام) بيد أنه لم يستخدمهما بمعناهما المعجمي، وإنما تجاوز ذلك المعنىٰ طاويا وراءه معنىٰ آخر أراد إيصاله للمتلقي؛ حيث عبر من خلالهما عن الكلام الكاذب الذي رماه به الوشاه، وإنما آثر التعبير بهذين اللفظين ليجسد من خلالهما الألم النفسي الذي وقع عليه في صورة حسية

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٨٣.

(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٧٥.

(٣) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٦٢.

ملموسة، كما أتىٰ بهما بصيغة الجمع ليؤكد كثرة ما رمي به من قبل هؤلاء الوشاة، مما كان له أثره الفعال في خلق المشاركة الوجدانية بينه وبين المتلقي.

كذلك ظهر لفظ (السهام) متجاوزا معناه الحقيقي في قول ابن الدباغ: "وكتابي هذا وأنا كما تدريه، غرض للأيام ترميه، ولكني غير شاك من آلامها، لأن قلبي في أغشية من سهامها"(١)، فقد استخدم ابن الدباغ هنا لفظ (السهام) متخطيا به معناه الحقيقي ليعبر من خلاله عن نوائب الدهر، والمحن التي ترميه بها الأيام، كذلك أتىٰ به في صيغة الجمع ليؤكد أيضا كثرة مصائب الأيام التي حلت به وشدة تحمله وجلده إزاءها.

أيضا ظهرت بعض أدوات الحرب في قول الدباغ: "هاتِ يا سيدي عَتْبَكَ وعِتابك، واشْحَذْ للمَلام شِفارك وحِرابك تجدني لاحتمالك عودًا بجنبيه جُلَب"(٢)، فقد استخدم ابن الدباغ هنا لفظين من الألفاظ التي تطلق علىٰ أدوات الحرب، وهما (شِفارك، وحِرابك)، متجاوزا معناهما الحقيقي، معبرا بهما عن كلمات اللوم والعتاب التي تكون شديدة اللهجة، مجسِّدا من خلالهما الأثر الذي تتركه هذه الكلمات في النفس، وكذلك جاء بهما بصيغة الجمع لبيان كثرة ما يكنُّ له هذا القائد.

ثالثا: حقل ألفاظ النار وما يتعلق بها من دلالات:

المتدبر في رسائل ابن الدباغ يجد حقلا آخر من الحقول التي كان لها استخدام خاص لدىٰ ابن الدباغ وهو حقل ألفاظ النار وما يتعلق بها كالشرر، والحرّ ونحو ذلك، وقد استعان بها لتجسيد معاني الضيق والانقباض والحرقة، ومن ذلك قوله: "ولكني واثقٌ بأن يحيق بك سيءُ مكرِك، فتذوقَ وبالَ أمرِك وتحصد زرائعَ شرِّك،

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٥٦.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٦٤.

وتصلىٰ بنارِ بغيِك"[١]، يتحدث ابن الدباغ هنا عن أحد الواشين الذي كان سببا في إحداث الوقيعة بينه وبين (المقتدر)، وقد استعان هنا بلفظ (النار) للتعبير عما فعله ذلك الشخص من وشاية، مجسدا من خلاله وقع تلك الكلمات عليه في صورة حسية ملموسة مما كان له أكبر الأثر في إيصال المعنىٰ للمتلقي علىٰ أكمل وجه.

كذلك يتجلىٰ استخدام ابن الدباغ للفظ من الألفاظ المتعلقة بالنار في قوله: "ومحالات تختلق وتنمق، فما أبعد جوازها علىٰ العقول، وأقل نفاقها عند ذوي التحصيل، وأخلق بها من شبهة أن تنجلي، ومن ضرْم إحنة أن تنطفي"[٢]، يتحدث ابن الدباغ هنا عن الأقاويل الكاذبة، والاختلاقات التي رماه بها الواشون موضحا بُعد تصديق العقول لها، مؤكدا أنه من حسن الخلق أن تنكشف هذه الشبهة، وتنطفئ تلك الأحقاد والضغائن، ويلاحظ استخدام لفظ (ضرْم) بمعنىٰ اشتعال وهو من الألفاظ المتعلقة بالنار، معبرا من خلاله عن كثرة الأحقاد والضغائن، ولا يخفىٰ ما حمله ذلك اللفظ من تجسيد هذه الأمور المعنوية في صورة حسية ملموسة.

كما استعان ابن الدباغ بلفظ (حرّ) وهو من الألفاظ التي تتعلق بالنار، للتعبير عن بعض مشاعره، وذلك في قوله: "أوحِش بأيام أقطعها وأفنيها، وأثواب عيشٍ أخلقها وأبليها، بحيث لا أراك عيانًا، ولا أملك من أنديتك مكانًا، حتىٰ أعتز بك من هون أغضي فيه علىٰ القذىٰ، وأصبر منه علىٰ حرّ المدىٰ"[٣]، يشكو ابن الدباغ هنا بُعد صديقه الذي يتحدث إليه وشدة افتقاده له، مبينا أن قربه منه من الأسباب التي تعينه علىٰ تخطي محن الدهر، وقد استخدم هنا لفظ (حرّ) للتعبير عن محن الدهر ونوائبه.

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٦٠.

(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٧٦.

(٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٢٥٤.

كما تتجلىٰ بعض الألفاظ المتعلقة بالنار في قول ابن الدباغ: "ثم بالأدبِ الذي يُمتِعُ بالاجتناءِ زَهَرَهُ، والفهمِ الذي يتطايرُ عند الاقتداحِ شَرَرُهُ"(١)، يمدح ابن الدباغ هنا أحد أصدقائه، ذاكرا بعض ما يتحلىٰ به من الأدب الممتع، والذكاء الحاد، ويلاحظ هنا استخدام بعض الألفاظ المتعلقة بالنار، وهي (الاقتداح، والشرر)، متجاوزا معناهما الحقيقي؛ حيث أراد بهما ما يظهر علىٰ الممدوح من أمارات الفطنة والذكاء.

رابعا: حقل الطبيعة:

علمنا مما سبق كيف تأثر ابن الدباغ بالطبيعة الساحرة لبلاد الأندلس ومدىٰ انعكاس صداها علىٰ ألفاظه، بيد أن المتتبع للألفاظ المنتمية إلىٰ حقل الطبيعة يجدها في بعض المواضع قد تجاوزت معناها الحقيقي لتحمل بعض المعاني الجديدة التي أرادها ابن الدباغ مما شكَّل معجما لغويا جديدا، ومن ذلك قول ابن الدباغ: "فسبحان من جعل الدنيا دار كُرَبٍ ومحنة، لكل ذي لب وفطنة، ومقام تنعم وترف، لكل ذي خسة ونطف، وسبحان من ابتلىٰ فيها ذوي الفضل والنهىٰ بكل قعط؛ بنفسه، ويستشرفُ من سماء المجد ويلتف في جُعسه ويستقذر عنبر الهند"(٢)، يعقد ابن الدباغ هنا مقارنة بين حال الدنيا مع كل ذي لبٍّ وفطنة، وحالها مع كل ذي خسَّة ونطف، موضحا شدة تضييقها علىٰ النوع الأول ممن ذكره، وواسع عطائها للنوع الثاني، ويلاحظ هنا ظهور لفظ من الألفاظ التي تنتمي إلىٰ حقل الطبيعة وهو لفظ (سماء)، الذي تخطىٰ معناه المعجمي ليعبر من خلاله عن الرفعة وعلو الشأن.

(١) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص ٣١٠.

(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص ٢٦٥.

كما يظهر أحد الألفاظ الذي ينتمي إلىٰ حقل الطبيعة في قول ابن الدباغ: "وأي شيء غال ذلك الطبع الذي كان يسحر، وكيف غاض ذلك البحر الذي كان به يزخر؟"(١)، جاءت هذه الفقرة ضمن رسالة ردَّ بها ابن الدباغ علىٰ إحدىٰ الرسائل التي وجهت إليه من أحد أصدقائه المعروفين ببلاغتهم وفطنتهم، بيد أن ابن الدباغ لم يفهم شيئا من تلك الرسالة؛ حيث جاءت متدنية في أسلوبها، مستغلقة في مغزاها، مما جعله يتعجب من ذهاب بلاغة هذا الرجل وفصاحته، ويلاحظ هنا ظهور أحد الألفاظ الذي ينتمي إلىٰ حقل الطبيعة وهو لفظ (البحر) وقد استخدمه ابن الدباغ استخداما مخالفا لمعناه الحقيقي؛ حيث عبر من خلاله عن بلاغة صديقه وفصاحته التي تخلَّفت عنه في هذه الرسالة.

كذلك يتجلىٰ أحد الألفاظ الذي ينتمي إلىٰ حقل الطبيعة في قول ابن الدباغ: "فأزعجني الأمر إزعاجًا يقتضيه تغيير رأي مثله من الأملاك، الذين هم كالليل في الإدراك، وكالقضاء إذا شاءوا في الهلاك"(٢)، يتحدث ابن الدباغ هنا عن (المقتدر) والجفوة التي حدثت بينهما، وما ترتب عليها من توعد (المقتدر) له، مستخدما لفظا من ألفاظ الطبيعة وهو (الليل) الذي تخطىٰ معناه الحقيقي ليطلقه ابن الدباغ علىٰ (المقتدر) مجسدا من خلاله مدىٰ خوفه الشديد منه.

أيضا برزت بعض الألفاظ التي تنتمي إلىٰ حقل الطبيعة في قول ابن الدباغ: "وواحسرتا لجنة المواهب كيف سُجرت، ولشمس المعالي كيف كورت"(٣)، جاءت هذه الفقرة ضمن رسالة كتبها ابن الدباغ في رثاء أحد أحبابه، ويظهر هنا لفظان

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٣٠٦.
(٢) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٦٩.
(٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ القسم الثالث ـ جـ١ ـ ص٣١٤.

ينتميان إلىٰ حقل الطبيعة، وهما (جنة، وشمس)، بيد أنهما قد تخطيا معناهما الحقيقي، ليعبر من خلالهما عن المرثي، مبينا بذلك مكانته عنده.

كما تتجلىٰ لفظة أخرىٰ تنتمي إلىٰ حقل الطبيعة في قول ابن الدباغ: "وذهبتْ بحمد الله تلك الحيرة، وانجلتْ تلك الغمرة، واستقال الجدُّ من عثاره، ولاح قمرُ السعد بعد سراره"(١)، يفصح ابن الدباغ في هذه الفقرة عن بهجته وسروره بانتقاله إلىٰ قرطبة، هذا المكان الجديد الذي ذهبت فيه حيرته، وانجلت غمرته، ويلاحظ هنا ظهور لفظ (قمر) وهو من الألفاظ التي تنتمي إلىٰ حقل الطبيعة، وقد تجاوز هذا اللفظ معناه الحقيقي ليدلل به ابن الدباغ علىٰ قمة سعادته وسروره.

وهكذا يتبين مدىٰ توفيق ابن الدباغ في اختيار ألفاظه ودقة انتقائه لها، وصدق تعبيره بها عما يريده؛ حيث استعان بعدة حقول معجمية متخطيا معناها الحقيقي ليشكل من خلالها معجما لغويا جديدا خاصا به، مما شكَّل ظاهرة أسلوبية تميزت بها معظم رسائله، وقد استطاع أن يعبر في غضونها عما تكنه نفسه من مشاعر وأحاسيس، فأتت مليئة بالشحنات العاطفية والشعورية، مما كان له أكبر الأثر في نفس المتلقي.

وعلىٰ ضوء ما سبق يتضح الإبداع الفني لدىٰ ابن الدباغ الذي تجلىٰ في اختيار أساليبه بدءا من الأساليب التركيبية، ومرورا بالأساليب الإيقاعية والتصويرية، وانتهاء بأسلوبه في اختيار معجمه اللغوي، مما ميَّز رسائله بخصائص أسلوبية ومؤثرات جمالية جعلتها في مواءمة تامة مع فن الشعر.

(١) المصدر السابق ـ الجزء نفسه ـ ص٢٩٣.

الخاتمة

بعد هذه الجولة السريعة مع رسائل ابن الدباغ يتبين كيف وفق هذا الأديب الفذ في التعبير عما تكنه نفسه من مشاعر وأحاسيس، بأسلوب متفرد أخاذ جعله يحلّق في سماء الشعرية، هذا وقد كشفت الدراسة عن عدة نتائج كان من أهمها ما يأتي:

- جاء أدب ابن الدباغ ذا أسلوب متميز حافل بشتىٰ الظواهر الجمالية والأسلوبية، مما يثبت أن علم الأسلوبية وإن كان علما حديثا فإن أدباءنا العرب قد طبقوه في آدابهم بكل احتراف وتفوق، وهذا يجعلنا نستطيع القول بكل ثقة عن معظم المناهج والنظريات الحديثة بأنها ما هي إلا بضاعتنا ردت إلينا.
- استطاع ابن الدباغ أن يتجاوز بنثره حدود المألوف والمتوقع ليحلق به في سماء الشعرية، وصولا إلىٰ الإبداع؛ حيث تميزت رسائله بخصائص أسلوبية ومؤثرات جمالية جعلتها في مواءمة تامة مع فن الشعر.
- وفق ابن الدباغ في استخدام أشكال عديدة من الانزياحات التركيبية، كالأساليب الإنشائية والتقديم والتأخير، والحذف، وغير ذلك مما كان له أثره في جذب انتباه السامع وتنشيط ذهنه؛ حيث ساعد في خروج الكلام عن المألوف والمعتاد، مما أضفىٰ علىٰ الأسلوب شعرية وجمالا.
- أجاد ابن الدباغ في استخدام الأساليب الإنشائية المتنوعة التي أضفت علىٰ الأسلوب حيوية وإثارة، وأبعدت عنه الرتابة والملل، كما بدت معظمها في صورة وجدانية موحية مؤثرة مما كثَّف المشاركة الوجدانية بينه وبين المتلقي.
- استخدم ابن الدباغ الأصوات استخداما واعيا ينم عن مقدرته الفذة في التأثير علىٰ المتلقي وجذب انتباهه؛ حيث جاءت الأصوات انعكاسا لما تنوء به نفسه من مشاعر وجدانية عميقة.

• حرص ابن الدباغ علىٰ موسيقية الجمل وقد ظهر ذلك في عدة أشكال من أبرزها التكرار، والجناس، والطباق، والسجع والتوازي، مما طبع رسائله بطابع خاص جعلها أقرب إلىٰ الشعر منه إلىٰ النثر.

• استعان ابن الدباغ بالأساليب التصويرية المتنوعة من استعارة وتشبيه وكناية مما جعل رسائله أشبه بلوحة فنية بديعة.

• تميزت الأساليب التصويرية لدىٰ ابن الدباغ بظاهرة التشخيص والتجسيم للجمادات مما أضفىٰ علىٰ رسائله حيوية وحركة وجعلها تتجلىٰ في صورة نابضة بالحياة مما كان له أثره الفعال في نفس المتلقي.

• كان لاستدعاء التراث حضور قوي في رسائل ابن الدباغ سواء التراث الديني أم الأدبي، مما شكل ظاهرة أسلوبية لديه، ودل علىٰ مكانته الأدبية وسعة ثقافته، وهذا بدوره أضفىٰ علىٰ رسائله هالة من الجلال والجمال كان لها تأثيرها الفاعل في نفس المتلقي.

• كشف المعجم اللغوي لدىٰ ابن الدباغ عما تبثه نفسه من مشاعر وأحاسيس فجاءت المفردات والألفاظ محملة بشحنات وجدانية عاطفية موحية ومؤثرة مما أوجد نوعا من التفاعل والمشاركة الوجدانية بينه وبين المتلقي.

• وفق ابن الدباغ في الاستعانة بعدة حقول معجمية متخطيا معناها الحقيقي ليشكل من خلالها معجما لغويا جديدا خاصا به، وقد استطاع أن يعبر بها عما تكنه نفسه من مشاعر وأحاسيس، فأتت مليئة بالشحنات العاطفية والشعورية، مما كان له أكبر الأثر في نفس المتلقي.

وأخيرًا توصي الباحثة بجمع رسائل ابن الدباغ في سفر مستقل، كما توصي بمزيد من الدراسات الأدبية المتعمقه حول النتاج الأدبي لابن الدباغ حيث يزخر بالكثير من الدرر، ويمكن أن يكون من هذه الدراسات:

- جماليات المفارقة وتجلياتها في رسائل ابن الدباغ.
- استلهام التراث في رسائل ابن الدباغ.

(هذا والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل)

ثبت المصادر والمراجع

أولا: المصدر الرئيس في البحث:

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ ابن بسام الشنتريني ـ ت/ إحسان عباس ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م ـ د.ط ـ القسم الثالث ـ جـ١ .

ثانيا: المصادر والمراجع الأخرى:

أولا: الكتب الأدبية:

اتجاهات نقد الشعر العربي في العراق ـ مرشد الزبيدي ـ اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ ١٩٩٩م.

إحصاء العلوم ـ الفارابي ـ ت/ عثمان أمين ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ ط٢ ـ ١٩٤٩م.

الأسلوبية الرؤية والتطبيق ـ يوسف أبو العدوس ـ دار المسيرة ـ الأردن ـ ط١ ـ ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٧م.

الأسلوبية في النقد العربي الحديث دراسة في تحليل الخطاب ـ فرحان بدري الحربي ـ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ٢٠٠٣م.

الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية ـ فتح الله أحمد سليمان ـ تقديم/ طه وادي ـ مكتبة الآداب ـ القاهرة ـ د.ط ـ ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

الأسلوبية والأسلوب ـ عبد السلام المسدي ـ الدار العربية للكتاب ـ طرابلس ـ ط٣ـ د.ت.

الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث تحليل الخطاب الشعري والسردي ـ نور الدين السد ـ دار هومة ـ الجزائر ـ د.ط ـ ٢٠١٠م.

الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية ـ عبد القادر عبد الجليل ـ دار صفاء للنشر والتوزيع ـ عمان ـ ط١ ـ ٢٠٠٢م.

الأصوات اللغوية ـ إبراهيم أنيس ـ مطبعة نهضة مصر ـ القاهرة ـ د.ط ـ د.ت.

الإيضاح ـ الخطيب القزويني ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٢م.

البرهان في علوم القرآن ـ الزركشي ـ ت/ أبو الفضل الدمياطي ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ د.ط ـ ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

تاريخ الأدب العربي ـ عصر الدول والإمارات (الأندلس) ـ شوقي ضيف ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ د.ط ـ د.ت.

التشابه والاختلاف نحو منهاجية شمولية ـ محمد مفتاح ـ المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ـ المغرب ـ د.ط ـ د.ت.

التعريفات ـ علي بن محمد الشريف الجرجاني ـ مكتبة لبنان ـ بيروت ـ د.ط ـ ١٩٨٥م.

جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ـ السيد أحمد الهاشمي ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ د.ط ـ د.ت.

دلائل الإعجاز ـ عبد القاهر الجرجاني ـ قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر ـ د.ط ـ د.ت.

سر الفصاحة ـ ابن سنان الحلبي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

سر صناعة الإعراب ـ ابن جني ـ ت/ حسن هنداوي ـ دار القلم ـ دمشق ـ ط٢ ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها ـ محمد بنيس ـ دار توبقال للنشر ـ الدار البيضاء ـ المغرب ـ ط٢ ـ ٢٠٠١م.

الشعرية ـ تزفيطان طودوروف ـ ترجمة: شكري المبخوت، راء بن سلامة ـ دار توبقال للنشر ـ الدار البيضاء ـ المغرب ـ ط١ ـ ١٩٨٧م.

علم الأسلوبية مبادؤه وإجراءاته ـ صلاح فضل ـ دار الشروق ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

علم الدلالة ـ عمر أحمد مختار ـ منشورات عالم الكتب ـ القاهرة ـ ط٣ ـ ١٩٩٤م.

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ـ ابن رشيق القيرواني ـ ت/ محمد محيي الدين عبد الحميد ـ دار الجيل ـ ط٥ ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

في الشعرية ـ كمال أبو ديب ـ مؤسسة الأبحاث العربية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٩٨٧م.

قضايا الشعرية ـ رومان ياكبسون ـ ترجمة: محمد الولي، مبارك حنون ـ دار توبقال للنشر ـ الدار البيضاء ـ المغرب ـ ط١ ـ ١٩٨٨م.

المزهر في علوم اللغة وأنواعها ـ جلال الدين السيوطي ـ شرحه وضبطه/ محمد أحمد جاد المولىٰ وآخرون ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ د.ط ـ ١٩٨٦م.

مفاهيم الشعرية دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم ـ حسن ناظم ـ المركز الثقافي العربي ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٩٩٤م.

مقدمة ابن خلدون ـ ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ـ ت/ عبد الله محمد الدرويش ـ دار البلخي ـ دمشق ـ ط ١ ـ ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

منهاج البلغاء وسراج الأدباء ـ أبو الحسن حازم القرطاجني ـ ت/ محمد الحبيب بن الخوجة ـ الدار العربية للكتاب ـ تونس ـ ط ٣ ـ ٢٠٠٨م.

ثانيا: المعاجم والقواميس:

القاموس المحيط ـ الفيروز آبادي ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ د.ط ـ ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

كتاب العين ـ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ـ ت/ مجدي المخزومي، إبراهيم السامرائي ـ دار الهلال ـ د.ط ـ د.ت.

لسان العرب ـ ابن منظور ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣ ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

مختار الصحاح ـ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ـ مكتبة لبنان ـ بيروت ـ ١٩٨٦ م.

ثالثا: الدواوين الشعرية:

ديوان أبي ذؤيب الهذلي ـ ت/ أحمد خليل الشال ـ مركز الدراسات والبحوث الإسلامية ـ بور سعيد ـ ط١ ـ ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

ديوان الخنساء ـ شرحه/ حمدو طماس ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٢ ـ ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

ديوان المتنبي ـ أبو الطيب المتنبي ـ دار بيروت للطباعة والنشر ـ بيروت ـ د.ط ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

ديوان النابغة الذبياني ـ شرح: عباس عبد الساتر ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣ ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

ديوان بشار بن برد ـ ت/ محمد الطاهر بن عاشور ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ د.ط ـ ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

ديوان سقط الزند ـ أبو العلاء المعري ـ مطبعة هندية ـ القاهرة ـ د.ط ـ ١٩٠١م ـ ١٣١٩هـ.

اللزوميات ـ أبو العلاء المعري ـ ت/ أمين عبد العزيز الخانجي ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ د.ط ـ د.ت.